قيل لسعْدٍ: وكم نصف يومٍ؟ قال: خمسمائةِ سنة. رواه أبو داود.

الفصل الثالث

٥٥١٥ ـ (٧) عن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثَلُ هذه الدُّنيا مثَلُ ثوبٍ شُقَّ من أوَّله إلى آخرِه، فبقِيَ متعلِّقاً بخيطٍ في آخرِه، فيوشِكُ ذلك الخيطُ أن ينقطع».

والمكانة عند الله تعالى، مثال ذلك قول المقرب عند السلطان: إني لا أعجز أن يوليني الملك كذا، وكذا يعني به أن لي عنده مكانة وقربة يحصل بها كل ما أرجوه عنده. فالمعنى: إني أرجو أن يكون لأمتي عند الله مكانة ومنزلة يمهلهم من زماني هذا إلى انتهاء خمسمائة سنة بحيث لا يكون أقل من ذلك إلى قيام الساعة. (**قيل لسعد: وكم نصف يوم قال: خمسمائة سنة**) إنما فسر الراوي نصف اليوم بخمسمائة، نظراً إلى قوله تعالى: ﴿**وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون**﴾ [الحج ـ ٤٧]. وقوله تعالى: ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة**﴾ [السجدة ـ ٥]. وإنما عبر رسول الله ﷺ عن خمسمائة سنة بنصف يوم تقليلاً لبغيتهم ورفعاً لمنزلتهم، أي لا يناقشهم في هذا المقدار القليل بل يزيدهم من فضله وقد وهم بعضهم، ونزل الحديث على أمر القيامة وحمل اليوم على يوم المحشر. فهب أنه غفل عما حققناه ونبهنا عليه فهلا انتبه لمكان الحديث، وأنه في أي باب من أبواب الكتاب فإنه مكتوب في باب قرب الساعة فأين هو منه ذكره الطيبي رحمه الله. ولعله ﷺ أراد بالخمسمائة أن يكون بعد الألف السابع فإن اليوم نحن في سابع سنة من الألف الثامن. وفيه إشارة إلى أنه لا يتعدى عن الخمسمائة فيوافق حديث عمر: الدنيا سبعة آلاف سنة. فالكسر الزائد يلغى. ونهايته إلى النصف وأما ما بعده فيعد ألفاً ثامناً بإلغاء الكسر الناقص. وقيل: أراد بقاء دينه ونظام ملته في الدنيا مدة خمسمائة سنة. فقوله: أن يؤخرهم، أي عن أن يؤخرهم الله سالمين عن العيوب من ارتكاب الذنوب والشدائد الناشئة من الكروب والله [تعالى]أعلم. (**رواه أبو داود**).

(الفصل الثالث)

٥٥١٥ ـ (**عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: مثل هذه الدنيا**) أي وقلة بقائها (**مثل توب شق**) بضم أوله، أي قطع. (**من أوّله إلى آخره**) أي إلى قريب منه أو هو من قبيل أن الغاية فيه لا تكون داخلة تحت المغيا كقوله تعالى: ﴿**ثم أتموا الصيام إلى الليل**﴾ [البقرة ـ ١٧٨]. (**فبقي متعلقاً بخيط في آخره**) الضميران للثوب (**فيوشك ذلك الخيط**) وهو عبارة عن زمان قليل يكون فيه الدين المحمدي. (**أن ينقطع**) أي فتنقطع الدنيا وتنفصل عن وجودها وتذهب وتأتي

الحديث رقم ٥٥١٥: رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٦٠ حديث رقم ١٠٢٣٨.

آبائهم». رواه مسلم.

٥٥٢٠ ـ (٥) وعن عبدِ الله بنِ عَمْرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ الدَّجالُ فيمكثُ أربعينَ» لا أدري أربعينَ يوماً أو شهراً أو عاماً «فيبعثُ اللّهُ عيسى ابنَ مريمَ كأنه عروةُ بنُ مسعودٍ، فيطلبُه فيهلِكُه، ثمَّ يمكثُ في الناسِ سبع سنينَ، ليسَ بينَ اثنينِ عداوةٌ، ثمَّ يرسلُ اللّهُ ريحاً باردةً من قِبلِ الشامِ، فلا يبقى على وجه الأرضِ أحدٌ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ خيرٍ أو إيمانٍ إلاَّ قبضتْه، حتى لو أنَّ أحدَكم دخلَ في كبدِ جبلٍ لدخلته عليه حتى

آبائهم) أي الأولين من المشركين الجاهلين الضالين المضلين. فروعي لفظ من في ضمير فيه، ومعناه في قوله: فيرجعون. كما في قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾ [البقرة ـ ٨]. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: تاماً هو بالرفع في الحميدي على أنه خبر أن، وفي صحيح مسلم وشرح النسائي بالنصب. فعلى هذا هو إما حال والعامل اسم الإشارة والخبر محذوف، أو خبر لكان المقدر، أي ظننت من مفهوم الآية أن ملة الإسلام ظاهرة على الأديان كلها غالبة عليها غير مغلوبة، فكيف يعبد اللات والعزى. وجوابه ﷺ بقوله: فتوفي كل من كان في قلبه. نظير قوله: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً. الحديث. **(رواه مسلم)**.

٥٥٢٠ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فيمكث أربعين)** وأبهمه ﷺ لحكمة في ترك التمييز أو نسيه الراوي، ولذا قال: **(لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو عاماً)** قال التوربشتي [رحمه الله]: لا أدري إلى قوله: فيبعث الله، من قول الصحابي، أي لم يزدني النبي ﷺ على أربعين شيئاً يبين. المراد منها فلا أدري أياً أراد بهذه الثلاثة. **(فيبعث الله عيسى ابن مريم)** أي فينزل من السماء **(كأنه)** أي في الصورة **(عروة بن مسعود)** أي الثقفي شهد صلح الحديبية كافراً وقدم على النبي ﷺ سنة تسع بعد عوده من الطائف وأسلم ثم عاد إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فقتلوه. وقيل: هو أخو عبد الله بن مسعود، وليس بشيء. **(فيطلبه)** أي عيسى الدجال **(فيهلكه)** أي بحربة **(ثم يمكث في الناس سبع سنين)** تقدم ما ورد خلافه **(ليس بين اثنين عداوة)** يحتمل أن يكون قيداً للعدد فلا ينافيه ما سبق من الزيادة، ويؤيده التراخي المفهوم من قوله: **(ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام)** بكسر ففتح، أي جانبه. **(فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان)** الظاهر أن أو للشك، ويحتمل أن يكون للتخيير في التعبير. **(إلا قبضته)** إلا أخذت روحه تلك الريح **(حتى لو أن أحدكم دخل)** أي فرضاً وتقديراً على طريق المبالغة **(في كبد جبل)** أي وسطه وجوفه، ومنه كبد السماء وسطها. **(لدخلته)** أي كبد الجبل **(عليه)** أي على أحدكم **(حتى تقبضه.**

الحديث رقم ٥٥٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٥٨ حديث رقم (١١٦ ـ ٢٩٤٠).

تقبضه» قال: «فيبقى شرارُ الناس في خِفَّةِ الطيرِ وأحلامِ السباعِ، لا يعرفونَ معروفاً، ولا ينكرونَ منكراً، فيَتَمَثَّلُ لهمُ الشيطان، فيقول: ألا تستجيبونَ؟ فيقولونَ: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادةِ الأوثان، وهم في ذلكَ دارٌ رزقُهم، حسَنٌ عيشُهم، ثمَّ ينفخُ في الصورِ، فلا يسمعُه أحدٌ إلاّ أصغى لِيتاً، ورفعَ لِيتاً» قال: «وأولُ من يسمعُه رجلٌ يلوطُ حوضَ إبلِه، فيصعَقُ ويصعقُ النّاسُ، ثمَّ يُرسلُ اللّهُ مطراً كأنّه الطلُّ، فينبُتُ منه أجسادُ الناسِ، ثمَّ يُنفخُ فيهِ أخرى فإذا هُم قِيامٌ ينظرونَ، ثمَّ يقالُ: يا أيُها الناسُ! هَلُمَّ

قال: **فيبقى شرار الناس في خفة الطير)** بكسر الخاء المعجمة وتشديد الفاء. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بخفة الطير اضطرابها وتنفرها بأدنى توهم، شبه حال الأشرار في تهتكهم وعدم وقارهم وثباتهم واختلال رأيهم وميلهم إلى الفجور والفساد بحال الطير. **(وأحلام السباع)** أي وفي عقولها الناقصة، جمع حلم بالضم أو جمع حلم بالكسر. ففيه إيماء إلى أنهم خالين عن العلم والحلم بل الغالب عليهم الطيش والغضب والوحشة والإتلاف والإهلال وقلة الرحمة. **(لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً)** بل يعكسون فيما يفعلون **(فيتمثل لهم الشيطان)** أي يتصوّر لهم بصورة إنسان فكأن التشكل أقوى على التسلط في الضلالة من طريق الوسوسة، ولذا قدم الله سبحانه شياطين الإنس في قوله: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن﴾** [الأنعام ـ ١١٢]. **(فيقول: ألا تستحيون)** أي من الله في ترك عبادته والتوسل إلى مقام قربته **(فيقولون: فماذا تأمرنا)** أي به نمتثله، فما موصولة أو استفهامية. فالمعنى: فأي شيء تأمرنا لنطيعك فيه. **(فيأمرهم بعبادة الأوثان)** أي توسلاً إلى رضا الرحمٰن كما قال تعالى مخبراً عنهم: **﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾** [الزمر ـ ٣]. **﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤها عند الله﴾** [يونس ـ ١٨]. **﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾** [التوبة ـ ٣٧]. **(وهم في ذلك)** أي والحال أنهم فيما ذكر من الأوصاف الردية والعبادات الوثنية **(دار)** بتشديد الراء، أي كثير. **(رزقهم حسن عيشهم)** فالأول إشارة إلى الكمية والثاني إلى الكيفية، أو الأول إيماء إلى كثرة الأمطار وما يترتب عليه من الأنهار وأثمار الأشجار والثاني من جهة الأمن وعدم الظلم وكثرة الصحة والغنى بالمال والجاه. **(ثم ينفخ في الصور)** بصيغة المجهول والنافخ هو إسرافيل عليه [الصلاة]والسلام. **(فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا)** بكسر اللام. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي آمال صفحة عنقه خوفاً ودهشة. **(ورفع ليتا)** والمراد منه هنا أن السامع يصعق فيصغى ليتا ويرفع ليتا أي يصير رأسه هكذا وكذلك شأن من يصيبه صيحة فيشق قلبه، فأول ما يظهر منه سقوط رأسه إلى أحد الشقين فأسند الاصغاء إليه اسناد الفعل الاختياري. **(قال: وأول من يسمعه رجل يلوط)** أي يطين ويصلح **(حوض إبله فيصعق)** أي يموت هو أولاً **(ويصعق الناس)** أي معه **(ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل)** بفتح الطاء وتشديد اللام، أي المطر الضعيف الصغير القطر. **(فينبت منه)** أي من أجله وسببه **(أجساد الناس)** أي النخرة في قبورهم **(ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)** وبين النفختين أربعون عاماً على ما سيأتي. **(ثم يقال: يا أيها الناس هلم)** في القاموس: هلم. يقال: مركبة من هاء التنبيه ومن لم، أي ضم نفسك إلينا، يستوي فيه الواحد والجمع

في «باب التَّوبة».

تطلع الشمس من مغربها. وقد ثبت: لا هجرة بعد الفتح. فالمراد بالهجرة التي هي غير منقطعة هي الهجرة من المعصية إلى الطاعة أو من ديار البدعة إلى ديار السنة أو من بلاد الشر إلى بلاد الخير. **(في باب التوبة)** وفيه اعترض فعلي منضم إلى بيان قولي، وهو أن الحديث أنسب بذلك الباب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

والأرض فتنبت، فتروحُ عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرىً، وأسبغه ضروعاً، وأمدّه خواصِر، ثم يأتي القوم فيدعُوهم، فيردّون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمرّ بالخَرِبة فيقول لها: أَخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزُها كيعاسيب النحل،

من الأمطار حتى تجري الأنهار **(والأرض)** أي ويأمرها **(فتنبت)** من الانبات حتى تظهر الأزهار استدراجاً من الواحد القهار **(فتروح عليهم سارحتهم)** أي فترجع بعد زوال الشمس إليهم ماشيتهم التي تذهب بالغدوة إلى مراعيها **(أطول ما كانت)** أي السارحة من الإبل، ونصب أطول على الحالية. وقوله: **(ذرى)** بضم الذال المعجمة وحكي كسرها وفتح الراء منوناً جمع ذروة مثلثة وهي أعلى السنام، وذروة كل شيء أعلاه وهو كناية عن كثرة السمن. **(وأسبغه)** أي وأتم ما كانت **(ضروعاً)** بضم أوله جمع ضرع وهو الثدي، كناية عن كثرة اللبن. **(وأمده)** أي وأمد ما كانت، وهو اسم تفضيل من المد. **(خواصر)** جمع خاصرة، وهي ما تحت الجنب ومدها كناية عن الامتلاء وكثرة الأكل. **(ثم يأتي القوم)** أي قوماً آخرين وفي العدول عن قوله على بناء على ما سبق، اشعار بأن اتيانه على الأولين ضرر في الحقيقة دون الآخرين. **(فيدعوهم)** أي بدعوى ألوهيته **(فيردون عليه قوله)** أي لا يقبلونه أو يبطلونه بالحجة. **(فينصرف عنهم)** فيه إشارة إلى أنه ليس له قدرة الاجبار. قال تعالى [جلَّ جلاله]: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾** [الحجر ـ ٤٢]. والمعنى: فيصرفه الله عنهم. **(فيصبحون ممحلين)** بضم الميم وبالحاء، أي داخلين في المحل. قال التوربشتي [رحمه الله]: أمحل القوم أصابهم المحل وهو انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلا. **(ليس بأيديهم شيء من أموالهم)** والحاصل أن المؤمنين صاروا به مبتلين بأنواع من البلاء والمحن والضراء ولكنهم صابرون وراضون وشاكرون لما أعطاهم الله من صفات الأولياء ببركة سيد الأنبياء وسيد الأصفياء. **(ويمر على الخربة)** بكسر الراء، أي يمر الدجال بالأرض الخربة أو بالبقاع الخربة. **(فيقول لها: اخرجي كنوزك)** أي مدفونك أو معادنك. **(فتتبعه)** الفاء فصيحة، أي فتخرج فتعقب الدجال. **(كنوزها كيعاسب النحل)** أي كما يتبع النحل اليعسوب. [قال النووي [رحمه الله]: ليعاسيب ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي رحمه الله: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كني عن الجماعة باليعسوب] وهو أميرها [لأنه متى طار تبعته جماعته]، منه قيل للسيد يعسوب. وروى الديلمي عن علي [رضي الله تعالى عنه] مرفوعاً: علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين[(١)]. ففي الكلام نوع قلب، إذ حق الكلام كنحل اليعاسيب. ولعل النكتة في جمع اليعاسيب هو الإيماء إلى كثرة الكنوز التابعة وأنه قدر كأنه جمع باعتبار جوانبه وأطرافه، والمراد جمع من أمرائه ووكلائه][(٢)]. وقال الأشرف: قوله: كاليعاسيب، كناية عن سرعة أتباعه، أي تتبعه الكنوز بالسرعة. وقال الطيبي [رحمه الله]: إذا

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٣٤٦/٢ حديث رقم ٥٦٠٠ ونسبه إلى ابن عدي.

(٢) هذه العبارة التي بين معكوفتين ليست كذلك في المخطوطة.

ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلَتين رميةَ الغَرض، ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذْ بعثَ اللّهُ المسيحَ ابنَ مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقيّ دمشق بين مهروذتين،

كان قوله كاليعاسيب حالاً من الدجال، فالخربة صفة البقاع، وإذا كان حالاً من الكنوز فيجوز أن يكون الموصوف جمعاً أو مفرداً. **(ثم يدعو رجلاً)** أي يطلبه حال كونه **(ممتلئاً)** أي تاماً كاملاً قوياً **(شباباً)** تمييز عن النسبة. قال الطيبي [رحمه الله]: والممتلىء شباباً هو الذي يكون في غاية الشباب. **(فيضربه بالسيف)** أي غضباً عليه لإبائه قبول دعوته الألوهية، أو إظهاراً للقدرة وتوطئة لخرق العادة. **(فيقطعه جزلتين)** بفتح الجيم وتكسر، أي قطعتين تتباعدان. **(رمية الغرض)** أي قدر حذف الهدف فهي منصوبة بمقدر. وفائدة التقييد به أن يظهر عند الناس أنه هلك بلا شبهة كما يفعله السحرة والمشعبذة. قال النووي [رحمه الله]: هو بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابن دريد كسرها. ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض هذا هو الظاهر المشهور. وحكى القاضي هذا ثم قال: وعندي أن فيه تقديماً وتأخيراً وتقديره: فيصيبه إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين، والصحيح الأوّل: قال التوربشتي [رحمه الله]: أراد برمية الغرض إما سرعة نفوذ السيف وإما إصابة المحز. قال الطيبي رحمه الله: ويؤيده تأويل النووي قوله في الحديث الذي يليه: ثم يمشي الدجال بين القطعتين. **(ثم يدعوه فيقبل)** أي الرجل الشاب على الدجال. **(ويتهلل)** أي يتلألأ ويضيء **(وجهه يضحك)** حال من فاعل يقبل، أي يقبل ضاحكاً بشاشاً فيقول: هذا كيف يصلح إلهاً. **(فبينما)** بالميم على الصحيح **(هو)** أي الرجل **(كذلك)** أي على تلك الحال وذلك المنوال **(إذ بعث الله المسيح ابن مريم)** [عليهما الصلاة والسلام]فسبحان من يدفع المسيح بالمسيح. قال تعالى جلّ شأنه: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾ [الأنبياء ـ ١٨]. **(فينزل)** أي عيسى [عليه الصلاة والسلام]**(عند المنارة البيضاء شرقي)** بالنصب على الظرفية مضافاً إلى قوله: **(دمشق)** بكسر الدال وفتح الميم وتكسر وهو المشهور الآن بالشام فإنه تحت ملكه. وفي الجامع روى الطبراني عن أوس بن أوس: ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق[١]. ذكر السيوطي في تعليقه على ابن ماجه أنه قال الحافظ ابن كثير في رواية: أن عيسى عليه [الصلاة] والسلام ينزل ببيت المقدس. وفي رواية: بالأردن. وفي رواية: بمعسكر المسلمين. قلت: حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه[٢] وهو عندي أرجح ولا ينافي سائر الروايات لأن بيت المقدس شرقي دمشق وهو معسكر المسلمين إذ ذاك، والأردن اسم الكورة كما في الصحاح وبيت المقدس داخل فيه وإن لم يكن في بيت المقدس الآن منارة فلا بد أن تحدث قبل نزوله والله [تعالى]أعلم. وقوله: **(بين مهرودتين)** بالدال المهملة ويعجم، أي حال كون عيسى بينهما بمعنى لابس حلتين مصبوغتين بورس أو زعفران. قال النووي رحمه الله: روي

---

(١) الجامع الصغير ٢/ ٥٩٠ حديث رقم ١٠٠٢٣.

(٢) ضمن الحديث ٤٠٧٧.

واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إِذا طأطَأ رأسَه قطَر، وإِذا رفعه تحدَّر منه مثل جُمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافرٍ يجدُ مِنْ ريح نَفَسِهِ إِلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيثُ ينتهي طرفه، فيطلبه

بالدال المهملة، والذال المعجمة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة. ومعناه: لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم الزعفران انتهى. وقال ابن الأنباري: يروى بدال مهملة ومعجمة، أي بين مخصرتين على ما جاء في الحديث ولا نسمعه إلا فيه وكذلك أشياء كثيرة لم تسمع إلا في الحديث. والمخصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة كذا في النهاية. **(واضعاً كفيه على أجنحة ملكين)** حال لبيان كيفية انزاله كما أن ما قبله حال البيان كيفية لبسه وجماله. ثم بين له حالة أخرى بقوله: **(إذا طأطأ)** بهمزتين، أي حفص **(رأسه قطر)** أي عرق **(وإذا رفعه)** أي رأسه **(تحدر)** بتشديد الدال، أي نزل **(منه)** أي من شعره قطرات نورانية **(مثل الجمان)** بضم الجيم وتخفيف الميم وتشدد، حب يتخذ من الفضة. **(كاللؤلؤ)** أي في الصفاء والبياض. ففي النهاية: الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم يتخذ من الفضة على هيئة اللآلىء الكبار. قال الطيبي رحمه الله: شبهه بالجمان في الكبر ثم شبه الجمان باللؤلؤ في الصفاء والحسن، فالوجه أن يكون الوجه الكبر مع الصفاء والحسن. وفي القاموس: الجمان كغراب اللؤلؤ أو هنوات أشكال اللؤلؤ. وقال شارح: الجمان بتشديد الميم. وقال ابن الملك: بالتشديد اللؤلؤ الصغار وبتخفيفها حب يتخذ من الفضة. وقيل: المراد بالجمان في صفة عيسى عليه [الصلاة]والسلام هو الحب المتخذ من الفضة. قلت: بل هو المتعين بقوله: كاللؤلؤ. **(فلا يحل)** بكسر الحاء، أي لا يمكن ولا يقع. **(لكافر أن يجد من ريح نفسه)** بفتح الفاء **(إلا مات)** كذا ذكره النووي. وقال القاضي: معناه عندي حق واجب، قال: ورواه بعضهم بضم الحاء وهو وهم وغلط. قال الطيبي [رحمه الله]: معناه لا يحصل ولا يحق أن يجد من ريح نفسه وله حال من الأحوال إلا حال الموت. فقوله: يجد مع ما في سياقه فاعل يحل على تقديران. **(ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه)** بسكون الراء، أي لحظه ولمحه. ويجوز كون الدجال مستثنى من هذا الحكم لحكمة إراءة دمه في الحربة ليزداد كونه ساحراً في قلوب المؤمنين. ويجوز كون هذه الكرامة لعيسى أولاً حين نزوله ثم تكون زائلة حين يرى الدجال، إذ دوام الكرامة ليس بلازم وقيل: نفس الذي يموت الكافر هو النفس المقصود به اهلاك كافر لا النفس المعتاد، فعدم موت الدجال لعدم النفس المراد. وقيل: المفهوم منه أن من وجد من نفس عيسى من الكفار يموت، ولا يفهم منه أن يكون ذلك أوّل وصول نفسه، فيجوز أن يحصل ذلك بهم بعد أن يريهم عيسى عليه [الصلاة] والسلام دم الدجال في حربته للحكمة المذكورة كذا بخط شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي رحمه الله تعالى. ثم من الغريب أن نفس عيسى عليه [الصلاة] والسلام تعلق به الاحياء لبعض والإماتة لبعض. **(فيطلبه)** أي [يطلب] عيسى عليه [الصلاة] والسلام الدجال **(حتى يدركه بباب لد)** بضم لام وتشديد دال مصروف اسم جبل بالشام، وقيل قرية من قرى بيت المقدس وعليه اقتصر النووي. وزاد غيره سمي به لكثرة شجره. وقال السيوطي رحمه الله في شرح الترمذي: هو على ما في النهاية

حتى يُدركه بباب لُدّ فيقتُله، ثم يأتي عيسى [إلى] قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذْ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدانِ لأحدٍ بقتالهم، فحرِّزْ عبادي إلى الطور، ويبعث اللَّهُ يأجوج ومأجوج ﴿وهم من كل حدبٍ ينسِلون﴾، فيمُر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرّ آخرُهم فيقول: لقد كانَ بهذه مرّة ماءٌ، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا منْ في الأرض، هلمّ

موضع بالشام، وقيل بفلسطين. **(فيقتله)** في الجامع رواه الترمذي وكذا أحمد. وعن مجمع بن جارية: يقتل ابن مريم الدجال بباب لد **(ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه)** أي حفظهم من شر الدجال **(فيمسح عن وجوههم)** أي يزيل عنها ما أصابها من غبار سفر الغز ومبالغة في إكرامهم، أو المعنى يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل الدجال. **(ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة)** قال النووي [رحمه الله]: وهذا المسح يحتمل أن يكون على ظاهره فيمسح وجوههم تبركاً، أو أنه إشارة إلى كشف ما يكون فيه من الشدة والخوف. **(فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني)** بفتح الهمزة ويكسر **(قد أخرجت عباد لي)** أي أظهرت جماعة منقادة لقضائي وقدري **(لا يدان)** أي لا قدرة ولا طاقة **(لأحد بقتالهم)** وإنما عبر عن الطاقة باليد لأن المباشرة والمدافعة إنما تكون باليد وثنى مبالغة كان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه، ويمكن أن يكون في التثنية إيماء إلى العجز عنهما جميعاً. **(فحرز عبادي)** أي من التحرير مأخوذ من الحرز، أي احفظهم وضمهم. **(إلى الطور)** واجعله لهم حرزاً **(ويبعث الله يأجوج ومأجوج)** بالألف ويبدل فيهما **(وهم)** أي جميع القبيلتين لقوله تعالى: ﴿**هذان خصمان اختصموا**﴾ [الحج ـ ١٩]. **(﴿من كل حدب﴾)** بفتحتين أي مكان مرتفع من الأرض **(﴿ينسلون﴾)** بفتح الياء وكسر السين، أي يسرعون. **(فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية)** بالإضافة، وبحيرة تصغير بحرة وهي ماء مجتمع بالشام طوله عشرة أميال. وطَبرية بفتحتين اسم موضع. وقال شارح: هي قصبة الأردن بالشام. **(فيشربون ما فيها)** أي من الماء **(ويمر آخرهم فيقول:)** أي آخرهم أو قائل منهم **(لقد كان بهذه)** أي البحيرة أو البقعة **(مرة)** أي وقتاً **(ماءً)** أي ماء كثير **(ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر)** بفتح الخاء المعجمة والميم وبالراء الشجر المتلف، وفسر في الحديث بقوله: **(وهو جبل بيت المقدس)** لكثرة شجره أو هو كل ما سترك[1] من شجر أو بناء أو غيره كذا في النهاية. **(فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض)** أي من ظهر على وجهها لما سيأتي من استثناء عيسى عليه [الصلاة]والسلام وأصحابه حيث كانوا محصورين محصونين. **(هلم)** أي تعال والخطاب لأميرهم وكبيرهم، أو عام غير مخصوص بأحدهم. وفي النهاية: فيه لغتان فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح، وبنو تميم تثنى وتجمع وتؤنث تقول: هلم وهلمي

---

(١) في المخطوطة «يترك».

فلنقتل من في السماء فيرمون بنشَّابهم إِلى السماء، فيردّ الله عليهم نشابهم مخضوبةً دماً، ويُحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسلُ الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموتِ نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبيُ الله عيسى وأصحابه إِلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إِلا ملأه زَهمُهم ونَتْنُهُمْ،

وهلماً وهلموا. (**فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم**) بضم فتشديده مفرده نشابة والباء زائدة أي سهامهم (**إلى السماء**) أي إلى جهتها (**فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة**) أي مصبوغة (**دماً**) تمييز وهذا مكر واستدراج منه سبحانه مع احتمال اصابة سهامهم لبعض الطيور في السماء، فيكون فيه إشارة إلى احاطة فسادهم بالسلفيات والعلويات (**ويحصر**) بصيغة المفعول، أي يحبس في جبل الطور. (**نبي الله**) أي عيسى عليه [الصلاة]والسلام (**وأصحابه**) أي من مؤمني هذه الأمة (**حتى يكون**) أي يصير من شدة المحاضرة والمضايقة (**رأس الثور**) أي البقر مع كمال رخصه في تلك الديار (**لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم**) قال التوربشتي رحمه الله: أي تبلغ بهم الفاقة إلى هذا الحد. وإنما ذكر رأس الثور ليقاس البقية عليه في القيمة. (**فيرغب**) أي إلى الله أو يدعو (**نبي الله**) فيه تنبيه [نبيه على]أنه مع متابعته لشريعة [محمد ﷺ]باق على نبوته (**عيسى وأصحابه**) قال القاضي: أي يرغبون إلى الله تعالى في إهلاكهم وانجائهم عن مكابدة قبلائهم ويتضرعون إليه فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف كما قال: (**فيرسل الله عليهم**) أي على يأجوج ومأجوج (**النغف**) بفتح النون والغين المعجمة، دود يكون في أنوف الابل والغنم (**في رقابهم فيصبحون فرسي**) كهلكي وزنا، ومعنى وهو جمع فريس كقتيل وقتلى من فرس الذئب الشاة إذا كسرها وقتلها، ومنه فريسة الأسد. (**كموت نفس واحدة**) لكمال القدرة وتعلق المشيئة، قال تعالى: ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾ [لقمان ـ ٢٨]. قال التوربشتي [رحمه الله]: يريد أن القهر الإلهي الغالب على كل شيء يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلى. وقد نبه بالكلمتين أعني النغف وفرسي على أنه سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شيء وهو النغف فيفرسهم فرس السبع فريسته بعد أن طارت نفرة البغي في رؤوسهم فزعموا أنهم قاتلوا من في السماء. (**ثم يهبط**) أي ينزل من الطور (**نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض**) أي في وجهها جميعاً وهذا هو وجه العدول عن الضمير إلى الظاهرة، فاللام في الأولى للعهد وفي الثانية للاستغراق بدليل الاستثناء. وبه يتبين أن القاعدة المعروفة أن المعرفة إذا أعيدت تكون عيناً للأولى مبنية على غالب العادة أو حيث لا قرينة صارفة. (**موضع شبر إلا ملأه زهمهم**) بفتح الزاي والهاء وقد تضم الزاي. وقال شارح: هو بالضم، وروي بالتحريك وتفسيره قوله: (**ونتنهم**) بسكون التاء. قال التوربشتي [رحمه الله]: الزهم بالتحريك مصدر قولك زهمت يدي بالكسر من الزهومة فهي زهمة أي دسمة وعليه أكثر الروايات فيما أعلم. وفيه من طريق المعنى وهن، وضم الزاي مع فتح الهاء أصح معنى وهو جمع زهمة يعني بضم الزاي وسكون الهاء وهي الريح المنتنة. وقال شارح: هو أصح رواية ودراية ويوافقهما ما في القاموس حيث قال: الزهومة والزهمة بضمها ريح لحم سمين منتن، والزهم بالضم الريح

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسلُ الله طيراً كأعناقِ البُخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله». وفي روايةٍ «تطرحهم بالنهبل، ويستوقد المسلمون من قسيّهم ونُشَّابِهم وجِعابهم سبع سنين، ثم يرسل الله مَطراً لا يَكُنُّ منه بيتُ مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسُل الأرضَ حتى يتركَهَا كالزَّلَفَةِ،

المنتنة وبالتحريك مصدر زهمت يدي كفرح فهي زهمة أي دسمة انتهى. وقد يقال أطلق المصدر وأريد به الوصف مبالغة كرجل عدل. **(فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله)** في ضم أصحابه إليه إشارة إلى أن الهيئة الاجتماعية في الهمة الأطماعية لها تأثير بليغ في الاجابة الدعائية[1]، وفي ذكرهم إيماء إلى أنهم هم الباعث على الدعاء والتضرع إلى رب السماء. **(فيرسل الله طيراً كأعناق البخت)** بضم موحدة وسكون معجمة نوع من الإبل، أي طيراً أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت والطير جمع طائر وقد يقع على الواحد ولذا قال: **(فتحملهم)** أي تلك الطير **(فتطرحهم)** أي فترميهم **(حيث شاء الله)** أي من البحار أو مما وراء معمورة الديار أو خلف جبال قاف ونحوها أو إلى عالم الاعدام والافناء. **(وفي رواية: تطرحهم بالنَهبَل)** بفتح النون وسكون الهاء وفتح الموحدة موضع، وقيل مكان ببيت المقدس، وفيه أنه كيف يسعهم. ولعل المراد به موضع بعضهم أو على طريق خرق العادة يسعهم. وقيل هو حيث تطلع الشمس، وفي القاموس: نهبل أسن. وروى الترمذي في حديث الدجال: فتطرحهم بالنهبل. وهو تصحيف، والصواب بالميم انتهى[2]. ولم يذكر المهبل لا لفظاً ولا معنى. **(ويستوقد المسلمون من قسيهم)** بكسرتين فتشديد تحتية جمع قوس والضمير ليأجوج ومأجوج **(ونشابهم)** أي سهامهم **(وجعابهم)** بكسر الجيم جمع جعبة بالفتح وهي طرف النشاب **(سبع سنين ثم يرسل الله مطراً)** أي عظيماً **(لا يكن)** بفتح الياء وضم الكاف وتشديد النون من كنت الشيء، أي سترته وصنته عن الشمس وهي من أكنت الشيء بهذا المعنى والمفعول محذوف والجملة صفة مطراً، أي لا يستر ولا يصون شيئاً. **(منه)** أي من ذلك المطر **(بيت مدر)** بفتحتين أي تراب وحجر **(ولا وبر)** أي صوف أو شعر. والمراد تعميم بيوت أهل البدو والحضر. قال النووي رحمه الله: أي لا يمنع من نزول الماء بيت المدر وهو الطين الصلب. وقال القاضي رحمه الله: أي لا يحول بينه وبين مكان ماء حائل بل يعم الأماكن كلها **(فيغسل)** أي المطر **(الأرض)** أي وجهها كلها **(حتى يتركها كالزلفة)** بفتح الزاي واللام ويسكن وبالفاء، وقيل بالقاف وهي المرآة بكسر الميم. وقيل ما يتخذ لجمع الماء من المصنع. والمراد أن الماء يعم جميع الأرض بحيث يرى الرائي وجهه فيه. قال النووي رحمه الله: روي بفتح الزاي واللام وبالفاء وبالقاف، وروي بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء. وقال القاضي رحمه الله: روي بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة. قلت: الأصح وهو الذي عليه الأكثر بفتحتين

(١) في المخطوطة «إجابة الرعاية».

(٢) رواه الترمذي في السنن بلفظ «بالمهبل» راجع تخريج الحديث.

ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتكِ ورُدِي بركتك، فيومَئذٍ تأكل العصابةُ من الرُّمانة ويستظلون بقَحِفِها ويبارك في الرِسْل، حتى إن اللِقحةَ من الإبِل لَتكفي الفِئامَ من الناس، واللِقحة من البقرِ لتكفي القبيلةَ من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفَخْذَ من الناس، فبينا هم كذلك إذ بعثَ اللّهُ ريحاً طيبةً فتأخذُهم تحت آباطهم، فتقبض رُوحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلمٍ،

والفاء واقتصر عليه القاموس في المعاني الآتية كلها [والله تعالى أعلم. قال:]واختلفوا في معناها فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة، وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضاً شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها. وقيل: معناه كمصانع الماء، أي الماء يستنقع فيها حتى تصير الأرض كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيدة: معناه الإجانة الخضراء. وقيل كالصحفة، وقيل كالروضة. **(ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي)** أي إلى أهلك **(بركتك)** أي من سائر نعمك **(فيومئذ تأكل العصابة)** بكسر العين، أي الجماعة. **(من الرمانة)** أي ويشبعون منها **(ويستظلون بقحفها)** بكسر القاف أي بقشرها. قال النووي رحمه الله: هو مقعر قشرها شبهها بقحف الآدمي وهو الذي فوق الدماغ. وقيل: هو ما انفلق من جمجمته وانفصل. وقال شارح: أراد نصف قشرها الأعلى وهو في الأصل العظم المستدير فوق الدماغ، وهو أيضاً إناء من خشب على مثاله كأنه نصف صاع واستعير هنا لما يلي رأسها من القشرة. **(ويبارك)** بصيغة المجهول، أي يوضع البركة والكثرة. **(في الرسل)** بكسر الراء وسكون السين. أي اللبن **(حتى أن اللقحة)** بكسر اللام ويفتح أي الناقة الحلوبة. قال النووي [رحمه الله]: اللقحة بكسر اللام وفتحها [لغتان]مشهورتان والكسر أشهر وهي القريبة العهد بالولادة. وقال في المختصر: من النوق وغيرها. فقوله **(من الإبل)** بيانية **(لتكفي)** أي اللقحة والمراد لبنها **(الفئام)** بهمز على زنة رجال والعامة تبدل الهمز ياء أي الجماعة **(من الناس)** ولا واحد له من لفظه والمراد به هنا أكثر القبيلة كما أن القبيلة أكثر من الفخذ على ما سيأتي. وقال النووي [رحمه الله]: الفئام بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة، هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور المعروف في اللغة. ورواية الحديث بكسر الفاء وبالهمز. قال القاضي: ومنهم من لا يجيز الهمز بل يقوله بالياء. وقال في المشارق: وحكاه الخليل بفتح الفاء، قال: وذكره صاحب العين غير مهمز وأدخله في حرف الياء. وحكى الخطابي أن بعضهم ذكرهم بفتح الفاء وتشديد الياء وهو غلط فاحش. **(واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس)** قال القاضي عياض [رحمه الله]: الفخذ هنا بسكون الخاء المعجمة لا غير، جماعة من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة. وأما الفخذ بمعنى العضو فبكسر الخاء وسكونها. **(فبينا)** بلا ميم **(هم)** مبتدأ خبره **(كذلك)** وناعوض عن المضاف إليه والعامل فيه قوله: **(إذا بعث الله)** وإذ للمفاجأة، أي بين أوقات يتنعمون في طيب عيش وسعة أرسل عليهم فجأة. **(ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم)** بهمزة ممدودة جمع إبط **(فتقبض)** أي تلك الريح **(روح كل مؤمن)** أسند الفعل إلى الريح مجازاً **(أو كل مسلم)** قال النووي [رحمه الله]: هكذا هو في جميع النسخ بالواو. يعني: كان الظاهر أن يكون بأو بالشك فإنه لا فرق بين المؤمن والمسلم عند أرباب الحق من أهل السنة والجماعة،

ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُرِ، فعليهم تقومُ الساعة» رواه مسلم إلا الرواية الثانية وهي قوله: «تطرحهم بالنهبل إلى قوله: سبع سنين». رواها الترمذيُّ.

٥٤٧٦ ـ (١٣) وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرجُ الدجالُ، فيتوجَّه قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين، فيلقاه المَسالِحُ مسالِحُ الدجال. فيقولون له: أين

فالمقصود المبالغة في التعميم والتغاير باعتبار اختلاف الوصفين كما في التنزيل: ﴿**تلك آيات الكتاب وقرآن مبين**﴾ [الحجر ـ ١]. وقوله سبحانه: ﴿**إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات**﴾ [الأحزاب ـ ٣٥]. أو بناء على الفرق اللغوي بينهما من أن المراد بالمؤمن المصدق وبالمسلم المنقاد، لكن لما كان أحدهما لا ينفع بدون الآخر جعل الموصوف بهما واحداً وأطلق عليه كل واحد من الوصفين بطريق التساوي، أو لكون أحدهما غالباً عليه في نفس الأمر والله [تعالى]أعلم، قال الطيبي [رحمه الله]: المراد بالتكرار هنا الاستيعاب أي تقبض روح خيار الناس كلهم. (**ويبقى شرار الناس**) بكسر أوله جمع شر (**يتهارجون**) أي يختلطون (**فيها**) أي في تلك الأزمنة أو في الأرض (**تهارج الحمر**) أي كاختلاطها ويتسافدون. وقيل: يتخاصمون. فإن الأصل في الهرج القتل وسرعة عدو الفرس، وهرج في حديثه أي خلط. قال النووي [رحمه الله]: أي يجامع الرجل النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك. والهرج بإسكان الراء الجماع، ويقال: هرج زوجته أي جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها. (**فعليهم تقوم الساعة**) أي لا على غيرهم. وسيأتي حديث: لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس. وفي رواية: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله. (**رواه**) أي الحديث بكماله (**مسلم إلا الرواية الثانية وهي**) أي الرواية، وفي نسخة: وهو. وتذكيره لتذكير خبره وهو (**قوله: تطرحهم بالنهبل إلى قوله: سبع سنين رواها**) أي تلك الرواية (**الترمذي**).

٥٤٧٦ ـ (**وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فيتوجه قبله**) بكسر قاف وفتح موحدة، أي إلى جانبه (**رجل**) أي عظيم (**من المؤمنين**) قال أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الفقيه راوي صحيح مسلم: يقال: إن هذا الرجل الخضر عليه [الصلاة]والسلام وكذا قال معمر وهذا يقتضي أن يكون الخضر حياً. وقد اختلف العلماء في ذلك، فالجمهور من الفقهاء والمحدثين وغيرهم وبعض الصوفية على أنه مات. وذهب جمهور الصوفية وبعض الفقهاء وغيرهم إلى أنه حي. قال النووي [رحمه الله]: وهو الصحيح ذكره الشيخ الجزري. (**فيلقاه المسالح**) بفتح الميم وكسر اللام جمع المسلحة وهم القوم ذوو السلاح يحفظون الثغور. (**مسالح الدجال**) مرفوع على الإبدال. وفي إشارة إلى أن اللام عوض عن المضاف إليه أو اللام للعهد. قال القاضي [رحمه الله]: ولعل المراد به ههنا مقدمة جيشه وأصلها موضع السلاح ثم استعمل للثغر، فإنه يعد فيه الأسلحة ثم للجند المترصدين ثم لمقدمة الجيش فإنهم من الجيش كأصحاب الثغور ممن وراءهم من المسلمين. (**فيقولون له: أين**

الحديث رقم ٥٤٧٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٥٦. حديث رقم (١١٣ . ٢٩٣٨).

وهو مُحَرَّمٌ عليه أن يدخلَ نِقاب المدينة، فَينزلُ بعضَ السِّبَاخ التي تلي المدينة، فيخرجُ إليه رجل وهو خير الناس، أو من خيار الناس، فيقول: أشهدُ أنّك الدجالُ الذي حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثَه، فيقولُ الدجالُ: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه، هل تشكُّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: واللّهِ ما كنتُ فيكَ أشدَّ بصيرةً مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتلَه، فلا يُسلَّطُ عليه».

يتوجه إلى صوب المدينة المعطرة المصونة. (**وهو محرم**) جملة حالية، أي ممنوع (**عليه أن يدخل نقاب المدينة**) بكسر النون كما نص عليه النووي [رحمه الله]. وهو جمع نقب بفتح النون وهو الطريق بين الجبلين والأنقاب جمع قلة، كذا في النهاية. (**فينزل**) أي الدجال (**بعض السباخ**)بكسر السين أي في بعض الأراضي السبخة وهي ذات ملح لا تنبت. (**التي تلي المدينة**) أي تقربها. وسيأتي أنه ينزل دبر أحد (**فيخرج إليه رجل**) أي عظيم (**وهو خير الناس**) أي حينئذ (**أو من خيار الناس**) على الإطلاق. ويحتمل أن يكون الترديد منه ﷺ وأو للتخيير، ويمكن أن يكون من الراوي فأو للشك. وتقدم أنه الخضر عليه [الصلاة]والسلام بناء على القول الأصح. (**فيقول:**) أي بعد رؤيته (**أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه**) أي وصفه وحاله. ولما كان الظاهر أن يقال: حديثك. قال الطيبي [رحمه الله]: هو جار على قوله الدجال لأن المظهر غائب لا على ضمير المخاطب. وعكسه قوله:

* أنا الذي سمتني أمي حيدرة *

(**فيقول الدجال:**) أي لمن حوله (**أرأيتم**) أي أخبروني (**إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر**) أي أمري. وقيل: أي في أني إله. (**فيقولون: لا**) أي لا نشك. وهو محتمل أن يتوجه النفي إلى إثبات الأمر أو نفيه. قال النووي [رحمه الله]: أما قول الدجال: إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون: لا. فقد يشكل لأن ما أظهره الدجال لا دلالة فيه على ربوبيته لظهور النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبه وكفره المكتوبة بين عينيه وغير ذلك. ويجاب بأنهم لعلهم قالوه خوفاً منه لا تصديقاً. ويحتمل أنهم قصدوا لا نشك في كذبك وكفرك فإن من شك في كفره وكذبه كفر وخادعوه بهذه التورية خوفاً منه. ويحتمل أن الذين قالوا لا نشك، هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله سبحانه وتعالى شقاوته. (**فيقتله**) أي الرجل على ما سبق (**ثم يحييه**) أي ويسأله كما تقدم (**فيقول:**) أي المقتول (**والله ما كنت**) أي في سابق الأيام (**فيك**) أي في بطلانك (**أشد بصيرة**) أي يقيناً (**مني**) متعلق بأشد (**اليوم**) بالنصب ظرف لأشد (**فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط**) بفتح اللام المشددة أي فلا يقدر (**عليه**) أي على قتله بوجه من الوجوه كما قررناه فيما تقدم والله [تعالى] أعلم. ثم في عجز الدجال آخراً دليل صريح في أن قدرته أولاً كانت حادثة عارضة مستعارة للاستدراج به والابتلاء لغيره فسلبت عنه. كما ستنزع عنه روحه، فيبقى جيفة ملقاة بالأرض يأكل منها الكلاب. وما أحسن من قال من أرباب الألباب بالتراب ورب الأرباب. قال الكلاباذي: في الحديث دليل على أن الدجال لا يقدر على ما يريد وإنما يفعل الله ما يشاء عند حركته في نفسه ومحل قدرته أن يفعله أختيار للخلق ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ويضل الله

متفق عليه.

٥٤٨٠ - (١٧) وعن أبي هريرةَ، عن رسولُ الله ﷺ قال: «يأتي المسيُح منْ قِبَلِ المشرقِ هِمَّتهُ المدينة، حتى ينزلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثم تَصرِفُ الملائكةُ وجهه قِبَلَ الشامِ، وهنالك يهلِكُ». متفق عليه.

٥٤٨١ - (١٨) وعن أبي بكرةَ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «لا يدخلُ المدينةَ رُعْبُ المسيح الدجَّالِ، لها يومئذٍ سبعةُ أبواب، على كلِّ باب ملكان». رواه البخاري.

من يشاء ويهدي من يشاء. (متفق عليه).

٥٤٨٠ - (**وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: يأتي المسيح**) أي الدجال (**من قبل المشرق**) بكسر القاف وفتح الموحدة، أي من جهته. (**همته**) أي قصده ونيته (**المدينة**) أي السكينة (**حتى ينزل دبر أحد**) بضم الدال والموحدة أي خلف أحد، وهو جبل معروف قرب المدينة. (**ثم**) أي بعد ما تقع قصة الرجل السابق (**تصرف الملائكة**) أي ترد (**وجهه**) أي توجهه وقصده (**قبل الشام**) أي إلى حيث جاء منه. وفيه دليل بطلانه وأمارة عجزه ونقصانه حيث رجع القهقرى ولم يقدر أن يدخل داراً فيه مدفن سيد الورى. وظاهره أنه لا يدخل حرم مكة بالأولى والأخرى. (**وهنالك**) أي في الشام (**يهلك**) أي يقتله عيسى عليه [الصلاة]والسلام (**متفق عليه**).

٥٤٨١ - (**وعن أبي بكرة رضي الله عنه**) بالباء (**عن النبي ﷺ قال: لا يدخل المدينة**) أي ومن بها (**رعب المسيح الدجال**) بضم راء فسكون عين وبضمتين، أي خوفه. (**لها**) أي للمدينة (**يومئذ سبعة أبواب**) أي طرق، أو المراد بها أبواب القلعة حينئذ. (**على كل باب ملكان**) أي يدفعانه عن الدخول في ذلك المكان. (**رواه البخاري**) قال السيوطي [رحمه الله]: ما اشتهر على الألسنة أن جبريل عليه [الصلاة]والسلام لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ فهو شيء لا أصل له، ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني أن جبريل يحضر موت كل مؤمن يكون على طهارة، وأخرج أبو نعيم في الفتن قال ﷺ: يمر الدجال بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فقال: من أنت. قال: أنا جبريل بعثني لأمنع حرم رسوله. انتهى. ولا مفهوم له كما لا يخفى، فإنه يحتمل أن يكون من باب الاكتفاء أو فوض إلى جبريل منع حرم رسوله. وأما حرمه فهو له ولي وكفيل كما يشير إليه سورة الفيل. وسيأتي فيما روى لتميم الداري عن الدجال أنه قال: فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما. وقد قرره النبي ﷺ. وقد روى أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً: الدجال لا يولد ولا يدخل المدينة ولا مكة[1].

الحديث رقم ٥٤٨٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٢/ ١٠٠٥ حديث رقم (٤٨٦ . ١٣٨٠) والترمذي في السنن ٤/ ٤٤٦ حديث رقم ٢٢٤٣.

الحديث رقم ٥٤٨١: أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٩٥. حديث رقم ١٨٧٩.

(١) أحمد في المسند ٣/ ٤٣.

متفق عليه.

٥٥١٩ ـ (٤) وعن عائشةَ، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى يُعبدَ اللاتُ والعُزّى». فقلتُ: يا رسولَ الله! إنْ كنتُ لأظنُّ حينَ أنزلَ اللّٰهُ: ﴿**هوَ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدى ودِينِ الحقّ ليُظهِرَه على الدّينِ كلّه ولو كرِهَ المشركونَ**﴾ أنَّ ذلكَ تامّاً؛ قال: «إنّه سيكونُ منْ ذلكَ، ما شاءَ اللّٰهُ، ثمّ يبعثُ اللّٰهُ ريحاً طيّبةً، فتُوفي كلُّ مَن كانَ في قلبِه مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من إيمان، فيبقى مَن لا خيرَ فيهِ، فيرجعونَ إلى دِين

فتسعى نساء بني دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن مضطربة ألياتهن كما كانت عادتهن في الجاهلية. (**متفق عليه**).

٥٥١٩ ـ (**وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يذهب الليل والنهار**) أي لا تقوم الساعة (**حتى يعبد**) بالتذكير وجوز تأنيثه (**اللات**) صنم لثقيف (**والعزى**) بضم عين فتشديد زاي صنم لغطفان. (**فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن**) إن هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة. قال المظهر: تقديره إنه كنت لأظن، يعني أن الشأن كنت لأحسب. (**حين أنزل الله: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى﴾**) أي بالتوحيد (**﴿ودين الحق﴾**) أي وبالشريعة الثابتة، ولما كان مؤداهما واحداً أفرد الضمير في قوله: (**﴿ليظهره﴾**) أي ليعليه ويغلبه (**﴿على الدين كله﴾**) أي على الأديان جميعها باطلها بردها وحقها بنسخها (**﴿ولو كره المشركون﴾**)(1) أي ما عليه الموحدون المخلصون (**أن ذلك**) بفتح الهمزة مفعول لأظن، وحين أنزل الله ظرف له، أي كنت أظن حين إنزال تلك الآية أن ذلك الحكم المذكور المستفاد منها يكون. (**تاماً**) أي عاماً كاملاً شاملاً للأزمنة كلها، فنصبه بالكون المقدر. وفي نسخة صحيحة تام بالرفع، والمعنى: أن ما ذكر من عبادة الأصنام قد تم واختتم وغدا ولا يكون بعد ذلك أبداً. (**قال:**) أي النبي ﷺ (**إنه**) أي الشأن (**سيكون من ذلك**) أي بعض ما ذكر من تمام الدين ونقصان الكفر. وأغرب شارح حيث قال: من ذلك أي من عبادة الأصنام. (**ما شاء الله**) أي مدة مشيئته، وبين ذلك بقوله: (**ثم يبعث الله ريحاً طيبة**) أي يشم منها رائحة الوصال (**فتوفي**) بصيغة المجهول، أي فقبض. (**كل من كان في قلبه**) وفي نسخة بصيغة الفاعل على أنه حذف منه إحدى التاءين، أي تتوفى على إسناد التوفي إلى الريح مجازاً فيكون كل منصوباً على المفعولية. والمعنى: تميت كل من كان في قلبه. (**مثقال حبة**) أي مقدار خردل. فقوله: (**من خردل**) بيان لحبة. وقوله: (**من إيمان**) بيان لمثقال. والمراد منه أن يكون في قلبه من العقائد الدينية أقل ما يجب عليه من التصديق القلبي واليقين بالأمور الإجمالية. فليس فيه دلالة على تصور الزيادة والنقصان في نفس الإيمان وحقيقة الإيقان كما لا يخفى على أهل العرفان. (**فيبقى من لا خير فيه**) أي لا إسلام ولا إيمان ولا قرآن ولا حج ولا سائر الأركان ولا علماء الأعيان. (**فيرجعون إلى دين**

الحديث رقم ٥٥١٩: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٣١ حديث رقم ٥٢ . ٢٩٠٧.

(١) سورة التوبة ـ آية رقم ٣٣.

آبائهم». رواه مسلم.

٥٥٢٠ ـ (٥) وعن عبدِ الله بنِ عَمْرٍو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يخرجُ الدَّجالُ فيمكثُ أربعينَ» لا أدري أربعينَ يوماً أو شهراً أو عاماً «فيبعثُ اللَّهُ عيسى ابنَ مريمَ كأنه عروةُ بنُ مسعودٍ، فيطلبُه فيهلِكُه، ثمّ يمكثُ في الناسِ سبع سنينَ، ليسَ بينَ اثنينِ عداوةٌ، ثمّ يرسلُ اللَّهُ ريحاً باردةً من قِبلِ الشام، فلا يبقى على وجه الأرضِ أحدٌ في قلبِه مثقالُ ذرّةٍ مِنْ خيرٍ أو إيمانٍ إلاّ قبضتْه، حتى لو أنّ أحدَكم دخلَ في كبدِ جبلٍ لدخلته عليه حتى

آبائهم) أي الأولين من المشركين الجاهلين الضالين المضلين. فروعي لفظ من في ضمير فيه، ومعناه في قوله: فيرجعون. كما في قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾ [البقرة ـ ٨]. هذا وقال الطيبي [رحمه الله]: قوله: تاماً هو بالرفع في الحميدي على أنه خبر أن، وفي صحيح مسلم وشرح النسائي بالنصب. فعلى هذا هو إما حال والعامل اسم الإِشارة والخبر محذوف، أو خبر لكان المقدر، أي ظننت من مفهوم الآية أن ملة الإِسلام ظاهرة على الأديان كلها غالبة عليها غير مغلوبة، فكيف يعبد اللات والعزى. وجوابه ﷺ بقوله: فتوفي كل من كان في قلبه. نظير قوله: إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً. الحديث. **(رواه مسلم)**.

٥٥٢٠ ـ **(وعن عبد الله بن عمرو)** بالواو **(قال: قال رسول الله ﷺ: يخرج الدجال فيمكث أربعين)** وأبهمه ﷺ لحكمة في ترك التمييز أو نسيه الراوي، ولذا قال: **(لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو عاماً)** قال التوربشتي [رحمه الله]: لا أدري إلى قوله: فيبعث الله، من قول الصحابي، أي لم يزدني النبي ﷺ على أربعين شيئاً يبين. المراد منها فلا أدري أياً أراد بهذه الثلاثة. **(فيبعث الله عيسى ابن مريم)** أي فينزل من السماء **(كأنه)** أي في الصورة **(عروة بن مسعود)** أي الثقفي شهد صلح الحديبية كافراً وقدم على النبي ﷺ سنة تسع بعد عوده من الطائف وأسلم ثم عاد إلى قومه ودعاهم إلى الإِسلام فقتلوه. وقيل: هو أخو عبد الله بن مسعود، وليس بشيء. **(فيطلبه)** أي عيسى الدجال **(فيهلكه)** أي بحربة **(ثم يمكث في الناس سبع سنين)** تقدم ما ورد خلافه **(ليس بين اثنين عداوة)** يحتمل أن يكون قيداً للعدد فلا ينافيه ما سبق من الزيادة، ويؤيده التراخي المفهوم من قوله: **(ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام)** بكسر ففتح، أي جانبه. **(فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان)** الظاهر أن أو للشك، ويحتمل أن يكون للتخيير في التعبير. **(إلا قبضته)** إلا أخذت روحه تلك الريح **(حتى لو أن أحدكم دخل)** أي فرضاً وتقديراً على طريق المبالغة **(في كبد جبل)** أي وسطه وجوفه، ومنه كبد السماء وسطها. **(لدخلته)** أي كبد الجبل **(عليه)** أي على أحدكم **(حتى تقبضه**.

الحديث رقم ٥٥٢٠: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/٢٢٥٨ حديث رقم (١١٦ ـ ٢٩٤٠).

تقبضه» قال: «فيبقى شرارُ الناس في خِفَّةِ الطيرِ وأحلامِ السباعِ، لا يعرفونَ معروفاً، ولا ينكرونَ منكراً، فيَتَمَثَّلُ لهمُ الشيطان، فيقول: ألا تستجيبونَ؟ فيقولونَ: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادةِ الأوثان، وهم في ذلكَ دارٌّ رزقُهم، حسَنٌ عيشُهم، ثمَّ ينفخُ في الصورِ، فلا يسمعُه أحدٌ إلاّ أصغى لِيتاً، ورفعَ لِيتاً» قال: «وأولُ من يسمعُه رجلٌ يلوطُ حوضَ إبلِه، فيصعَقُ ويصعقُ النّاسُ، ثمَّ يُرسلُ اللّهُ مطراً كأنّه الطلُّ، فينبُتُ منه أجسادُ الناسِ، ثمَّ يُنفخُ فيهِ أخرى فإِذا هُم قِيامٌ ينظرونَ، ثمَّ يقالُ: يا أيُها الناسُ! هَلُمَّ

قال: فيبقى شرار الناس في خفة الطير) بكسر الخاء المعجمة وتشديد الفاء. قال القاضي [رحمه الله]: المراد بخفة الطير اضطرابها وتنفرها بأدنى توهم، شبه حال الأشرار في تهتكهم وعدم وقارهم وثباتهم واختلال رأيهم وميلهم إلى الفجور والفساد بحال الطير. **(وأحلام السباع)** أي وفي عقولها الناقصة، جمع حلم بالضم أو جمع حلم بالكسر. ففيه إيماء إلى أنهم خالين عن العلم والحلم بل الغالب عليهم الطيش والغضب والوحشة والإتلاف والإهلال وقلة الرحمة. **(لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً)** بل يعكسون فيما يفعلون **(فيتمثل لهم الشيطان)** أي يتصوّر لهم بصورة إنسان فكأن التشكل أقوى على التسلط في الضلالة من طريق الوسوسة، ولذا قدم الله سبحانه شياطين الإنس في قوله: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن**﴾ [الأنعام ـ ١١٢]. **(فيقول: ألا تستحيون)** أي من الله في ترك عبادته والتوسل إلى مقام قربته **(فيقولون: فماذا تأمرنا)** أي به نمتثله، فما موصولة أو استفهامية. فالمعنى: فأي شيء تأمرنا لنطيعك فيه. **(فيأمرهم بعبادة الأوثان)** أي توسلاً إلى رضا الرحمٰن كما قال تعالى مخبراً عنهم: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [الزمر ـ ٣]. ﴿**ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ [يونس ـ ١٨]. ﴿**زين لهم سوء أعمالهم**﴾ [التوبة ـ ٣٧]. **(وهم في ذلك)** أي والحال أنهم فيما ذكر من الأوصاف الردية والعبادات الوثنية **(دار)** بتشديد الراء، أي كثير. **(رزقهم حسن عيشهم)** فالأول إشارة إلى الكمية والثاني إلى الكيفية، أو الأول إيماء إلى كثرة الأمطار وما يترتب عليه من الأنهار وأثمار الأشجار والثاني من جهة الأمن وعدم الظلم وكثرة الصحة والغنى بالمال والجاه. **(ثم ينفخ في الصور)** بصيغة المجهول والنافخ هو إسرافيل عليه [الصلاة]والسلام. **(فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا)** بكسر اللام. قال التوربشتي [رحمه الله]: أي آمال صفحة عنقه خوفاً ودهشة. **(ورفع ليتا)** والمراد منه هنا أن السامع يصعق فيصغى ليتا ويرفع ليتا أي يصير رأسه هكذا وكذلك شأن من يصيبه صيحة فيشق قلبه، فأول ما يظهر منه سقوط رأسه إلى أحد الشقين فأسند الاصغاء إليه اسناد الفعل الاختياري. **(قال: وأول من يسمعه رجل يلوط)** أي يطين ويصلح **(حوض إبله فيصعق)** أي يموت هو أولاً **(ويصعق الناس)** أي معه **(ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل)** بفتح الطاء وتشديد اللام، أي المطر الضعيف الصغير القطر. **(فينبت منه)** أي من أجله وسببه **(أجساد الناس)** أي النخرة في قبورهم **(ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)** وبين النفختين أربعون عاماً على ما سيأتي. **(ثم يقال: يا أيها الناس هلم)** في القاموس: هلم. يقال: مركبة من هاء التنبيه ومن لم، أي ضم نفسك إلينا، يستوي فيه الواحد والجمع

إلى ربِكم، وقفوهُم إنَّهم مسؤولونَ. فيقالُ: أخرِجوا بعثَ النارِ. فيقال: من كم؟ كم؟ فيقال: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعينَ» قال: «فذلك يومٌ يجعلُ الولدانَ شِيباً، وذلك يومَ يُكشفُ عن ساقٍ». رواه مسلم.

وذُكر حديث معاوية: «لا تنقطعُ الهِجرة»

والتذكير والتأنيث عند الحجازيين. فالمعنى: تعالوا أو ارجعوا أو أسرعوا إلى ربكم. **(قفوهم)** وفي نسخة صحيحة وقفوهم بالعاطفة. قال الطيبي: عطف على قوله: يقال، على سبيل التقدير. أي يقال للناس: هلم، ويقال: للملائكة قفوهم. وفي بعض النسخ بدون العاطف فهو على الاستئناف انتهى. وهو أمر مخاطب والخطاب للملائكة والضمير للناس. يقال: وقفت الدابة ووقفتها يتعدى ولا يتعدى. والمعنى: احبسوهم **(إنهم مسؤولون)** استئاف تعليل. **(فيقال: اخرجوا)** أمر للملائكة، أي ميزوا مما بين الخلائق **(بعث النار)** أي مبعوثها بمعنى من يبعث إليها. **(فيقال: من كم كم)** أي سأل المخاطبون من كمية العدد المبعوث إلى النار، فيقولون: كم عدداً نخرجه من كم عدد. ذكره الطيبي [رحمه الله]. فكم الأولى خبر مقدم وكم الثانية مبتدأ وهما مفعولاً نخرج الذي للمتكلم. **(فيقال: من كل ألف تسعمائة)** بالنصب، أي اخرجوا النار من كل ألف تسعمائة. **(وتسعة وتسعين)** قيل: هم الذين يستوجبون النار بذنوبهم يتركون فيها بقدر ذنوبهم، ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة ذكره ابن الملك [رحمه الله]. ويجوز أن يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة. لكن الظاهر أن المراد بهم الكفار الذين يستحقون عذاب النار بلا حساب ولا كتاب فهم مخلدون في العقاب والله [تعالى] أعلم بالصواب. **(فذلك)** أي الوقت **(يوم)** أو فذاك الحكم وقت **(يجعل)** أي يصير **(فيه الولدان)** أي الصبيان جمع وليد **(شيباً)** بكسر أوله جمع أشيب كأبيض وبيض. والمعنى: أنه يصير الأطفال شيباً في الحال فالمعنى: لو أن وليداً شاب من واقعة عظيمة لكان ذلك اليوم هذا. ويوم مرفوع منون في أكثر النسخ، وفي نسخة بالفتح مضافاً. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون اليوم مرفوعاً ويجعل الولدان صفة له، فيكون الاسناد مجازياً، وأن يكون مضافاً مفتوحاً فيكون الاسناد حينئذ حقيقياً، والأول أبلغ وأوفق لما ورد في التنزيل يعني قوله تعالى: **﴿يوماً يجعل الولدان شيباً﴾**. **(وذلك)** أي أيضاً **(يوم يكشف)** في كثير من النسخ برفع يوم منوناً وفي بعضها بالفتح مضافاً وهو أوفق لما في القرآن: يوم يكشف. **(عن ساق)** أي شدة عظيمة، يقال: كشفت الحرب عن الساق إذا اشتد فيها، وكان أصله أن الولد يموت في بطن الناقة فيدخل المدمر يده في رحمها فيأخذ ساقه، فجعل لكل أمر عظيم وخطب جسيم. قال الخطابي: هذا مما هاب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب، أما من تأوله فقال ذلك يوم يكشف عن شدة عظيمة وبلية فظيعة وهو اقبال الآخرة وظهورها وذهاب الدنيا وادبارها. ويقال للأمر إذا اشتد وتفاقم وظهر وزال خفاؤه كشف عن ساقه، وهذا جائز في اللغة وإن لم يكن للأمر ساق. **(رواه مسلم وذكر حديث معاوية: لا تنقطع الهجرة)** أي حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى

في «باب التَّوبة».

تطلع الشمس من مغربها. وقد ثبت: لا هجرة بعد الفتح. فالمراد بالهجرة التي هي غير منقطعة هي الهجرة من المعصية إلى الطاعة أو من ديار البدعة إلى ديار السنة أو من بلاد الشر إلى بلاد الخير. (**في باب التوبة**) وفيه اعترض فعلي منضم إلى بيان قولي، وهو أن الحديث أنسب بذلك الباب والله [تعالى] أعلم بالصواب.

٥٦٩٩ - (٢) وعن عمَرَ رضي الله عنه، قال: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ مقاماً، فأخبَرَنا عن بدءِ الخَلقِ حتى دخلَ أهلُ الجنَّةَ منازلَهم، وأهلُ النارِ منازلَهم، حفظَ ذلكَ مَن حفظَه، ونسيَه مَنْ نسيَه. رواه البخاري.

٥٧٠٠ - (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ اللّهَ تعالى كتبَ كتاباً قبلَ أن يخلقَ الخلقَ: إنَّ رحمتي سبقَتْ غضبي؛ فهوَ مكتوبٌ عنده فوقَ العرشِ».

٥٦٩٩ - **(وعن عمر)** رضي الله عنه **(قال: قام فينا)** أي خطيباً **(رسول الله ﷺ مقاماً)** أي قياماً عظيماً. **(فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم)** أي فبين المبدأ والمعاد. وتوضيحه أنه ﷺ بين أحوال الأمم كلهم إلى وقت دخول الجنة، وعين أحوال أمته مما يجري عليهم من الخير والشر إلى أن يدخل أهل الجنة منهم الجنة، وأهل النار النار. **(حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه)** قال الطيبي [رحمه الله]: حتى غاية أخبرنا، أي أخبرنا مبتدئاً من بدء الخلق حتى انتهى إلى دخول أهل الجنة الجنة، ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة للتحقيق المستفاد من قول الصادق الأمين. وقال العسقلاني: أي أخبرنا عن المبدأ شيئاً بعد شيء إلى أن انتهى الإخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار. ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات من المبدأ والمعاد والمعاش. وتيسير إيراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم. **(رواه البخاري)**.

٥٧٠٠ - **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله كتب)** أي أثبت أو أمر أن يكتب الملائكة **(كتاباً)** أي مكتوباً وهو اللوح، أو كتب كتابة مستقلة. **(قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي)** بكسر الهمزة وفتحها **(سبقت غضبي)** أي غلبت، كما في رواية: والمعنى غلبت الرحمة بالكثرة في متعلقها على الغضب. والحاصل أن إرادة الخير والنعمة والمثوبة منه سبحانه لعباده، أكثر من إرادة الشر والنقمة والعقوبة، لأن الرحمة عامة والغضب خاص، كما حقق في قوله: الرحمٰن الرحيم. حيث قيل: رحمة الرحمٰن عامة للمؤمن والكافر، بل لجميع الموجودات. ولذا لا يطلق الرحمٰن على غيره سبحانه. فإذا عرفت هذا فالكسر على الحكاية، ويكون لفظة إن من جملة المكتوب، والفتح على أنها بدل من كتاباً، وعلى كل فالمكتوب إنما هو هذه الجملة. ويؤيده قوله: **(فهو مكتوب عنده فوق العرش)** والمعنى أنه مكتوم عن سائر الخلائق مرفوع عن حيز الإدراك. وقيل: معناه أنه مثبت في علمه

الحديث رقم ٥٦٩٩: أخرجه البخاري ٦/ ٢٨٦. حديث رقم ٣١٩٢. وأخرجه أبو داود ٤/ ٤٤١ حديث ٤٢٤٠ وأخرجه الترمذي ٤/ ٤١٩ حديث رقم ٢١٩١. وأخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣٨٥.

الحديث رقم ٥٧٠٠: أخرجه البخاري ٦/ ٢٨٧. حديث رقم ٣١٩٤. ومسلم ٤/ ٢١٠٧ حديث رقم (١٤. ٢٧٥١) وأخرجه الترمذي ٥/ ٥١٣ حديث رقم ٣٥٤٣. وأخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٣٥ حديث ٤٢٩٥ وأخرجه أحمد في المسند ٢/ ٤٦٦.

. . . .

سبحانه. وأما اللوح المحفوظ فقد يطلع على بعض معلوماته من أراد الله من ملائكته وأنبيائه وخلص أوليائه من أرباب الكشوف، لا سيما إسرافيل [عليه السلام]، فإنه موكل عليه ويأخذ الأمور منه فيأمر جبريل وميكائيل وعزرائيل [عليهم الصلاة والسلام]. كلا بما هو من جنس عمله على ما ورد في بعض الأخبار والآثار. وأما على قول من فسر الكتاب هنا باللوح المحفوظ أو القضاء الإجمالي والتفصيلي فيتعين الكسر على الاستئناف، اللهم إلا أن تجعل هذه الجملة المستفادة من الحكمة الإجمالية زبدة ما في اللوح المحفوظ وعمدة ما فيه من أنواع الحظوظ. قال التوربشتي [رحمه الله]: يحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، ويكون معنى قوله: فهو مكتوب عنده. فعلم ذلك عنده. ويحتمل أن يراد منه القضاء الذي قضاه. وعلى الوجهين فإن قوله: فهو عنده فوق العرش. تنبيه على كينونته مكنوناً عن سائر الخلائق مرفوعاً عن حيز الإدراك، ولا تعلق لهذا القول بما يقع في النفوس من التصورات، تعالى عن صفات المحدثات. فإنه هو المباين عن جميع خلقه المتسلط على كل شيء بقهره وقدرته. وفي سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق ههنا أكثر من قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غير استحقاق. وأن الغضب لا ينالهم إلاّ باستحقاق. ألا يرى أنها تشمل الإنسان جنيناً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً من غير أن يصدر منه طاعة استوجب بها ذلك، ولا يلحقه الغضب إلا بما يصدر عنه من المخالفات، ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك. ولذلك خلقهم. فللّه الحمد على ما ساق إلينا من النعم قبل استحقاقها. وقال النووي: غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى اثابة المطيع وعقاب العاصي. والمراد بالسبق هنا والغلبة في أخرى كثرة الرحمة وشمولها. كما يقال: غلب على فلان الكرم والشجاعة، إذا كثرا منه. أقول: ولو أبقيا على حقيقتهما من غير ارادة المجاز جاز أيضاً، لأن رحمته تعالى سابقة على غضبه باعتبار التعلق(١) بالنسبة إلى كل أحد من مخلوقاته. فإن أول الرحمة نعمة الإيجاد ثم نعمة الإمداد، فلا يخلو عن النعمتين أحد من العباد. وكذا منحه سبحانه بالنسبة إلى محنة غالبة كثيرة شاملة لعموم الخلائق سواء من أطاعه أو عصاه في البلاد. قال الطيبي [رحمه الله]: يحتمل أن تكون مفتوحة بدلاً من كتاباً، ومكسورة حكاية لمضمون الكتاب، وهو على وزان قوله تعالى: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ [الأنعام ـ ٥٤]. أي أوجب وعداً أن يرحمهم قطعاً بخلاف ما يترتب عليه مقتضى الغضب. فإن الله تعالى غفور كريم يتجاوز عنه بفضله وأنشد:

وإنــي إذا أوعــدتــه أو وعــدتــه * لـمـخـلـف إيـعـادي ومـنـجـز مـوعـدي

فالمراد بالسبق هنا القطع لوقوعها. قلت: لا بد وأن يخص بالمؤمنين ممن تعلق المشيئة بمغفرتهم وسبق الإرادة برحمتهم، وإلا فعذاب الكافر مقطوع الوقوع بل واجب الحصول لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به**﴾ [النساء ـ ٤٨]. والتخلف في خبره غير جائز قطعاً. وقد

(١) وقع تبديل في الكلام في المخطوطة.

قال: أخبروني عن عين زُغَرَ [قالوا: وعن أيِّ شأنِها تستخبرُ؟ قال:] هل في العينِ ماءٌ؟ وهل يزرعُ أهلُها بماءِ العينِ؟ قلنا [له]: نعم، هي كثيرةُ الماءِ وأهلُها يزرعونَ منْ مائِها. قال: أخبروني عن نبيِّ الأمّيِّينَ ما فعلَ؟ قُلنا: قد خرجَ من مكةَ ونزلَ يثرِبَ. قال: أقاتلَه العربُ؟ قلنا: نعم. قال: كيفَ صنعَ بهم؟ فأخبرناه أنّه قد ظهرَ على مَن يَليهِ من العربِ، وأطاعوهُ. قال: [لهم: قد كانَ ذلكَ؟ قلنا: نعم]. قال: أما إنَّ ذلك خيرٌ لهم أن يُطيعوه وإني مُخبرُكم عني: إني أنا المسيحُ الدجال، وإني

(قال: أخبروني عن عين زغر) بزاي فغين معجمتين فراء كزفر بلدة بالشام قليلة النبات قيل: عدم صرفة للتعريف والتأنيث لأنه في الأصل اسم امرأة، ثم نقل يعني ليس تأنيثه باعتبار البلدة والبقعة فإنه قد يذكر مثله ويصرف باعتبار البلد والمكان. وقد قال شارح: هو موضع بالشام. وقال النووي [رحمه الله]: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام. (هل في العين) أي في عينه أو تلك العين فاللام للعوض عن المضاف إليه أو للعهد. (ماء) أي كثير لقوله: (وهل يزرع أهلها) أي أهل تلك العين أو البلدة وهي الأظهر لقوله: (بماء العين. قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها) الظاهر أن جوابه على طبق ما سبق، وهو أما إنها يوشك أن لا يبقى فيها ماء يزرع به أهلها. وفي الأسئلة المذكورة وأجوبتها المسطورة إشارة إلى أنها علامات لخروجه وأمارات لذهاب بركتها بشآمة ظهوره ووصوله، ولما كانت هذه الأسئلة توطئة لما بعدها. (قال:) أي الدجال معرضاً عن الجواب الثاني وبادر إلى السؤال المقصود وهو ظهور محمد المحمود. (أخبروني عن نبي الأميين) أي العرب (ما فعل) بفتحتين، أي ما صنع بعدما بعث. قال ابن الملك في شرح المشارق: أراد الدجال بالأميين العرب لأنهم لا يكتبون ولا يقرؤون غالباً، وإنما أضاف نبينا محمداً ﷺ إليهم طعناً عليه بأنه مبعوث إليهم خاصة كما زعم بعض اليهود، أو بأنه غير مبعوث إلى ذوي الفطنة والكياسة والعقل والرياسة. (قلنا: قد خرج من مكة ونزل بيثرب) أي هاجر منها إلى المدينة. (قال: أقاتله العرب. قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم. فأخبرناه أنه قد ظهر) أي غلب وظفر (على من يليه) أي يقربه (من العرب وأطاعوه. قال: أما إن ذلك خير لهم) قال الطيبي [رحمه الله]: المشار إليه ما يفهم من قوله: وأطاعوه، وقوله: (أن يطيعوه) جاء لمزيد البيان. ويجوز أن يكون المشار إليه رسول الله ﷺ وخيراً ما خبر مسند إلى أن يطيعوه، وعلى هذا لا يكون بمعنى التفضيل، أو يكون أن يطيعوه مبتدأ وخير خبره مقدماً عليه والجملة خبر إن. قال التوربشتي [رحمه الله]: فإن قيل: يشبه هذا القول قول من عرف الحق والمخذول من البعد من الله بمكان لم ير له فيه مساهم، فما وجه قوله هذا. قلنا: يحتمل أنه أراد به الخير في الدنيا، أي طاعتهم له خير لهم فإنهم إن خالفوه اجتاحهم واستأصلهم. ويحتمل أنه من باب الصرفة صرفه الله تعالى عن الطعن فيه والتكبر عليه وتفوه بما ذكر عنه، كالمغلوب عليه والمأخوذ عليه فلا يستطيع أن يتكلم بغيره تأييداً لنبيه ﷺ:

* والفضل ما شهدت به الأعداء *

(وإني مخبركم عني إني) بكسر الهمزة وفتحه (أنا المسيح) أي الدجال (وإني) بالوجهين

(٥) باب نزول عيسى عليه السلام

الفصل الأول

٥٥٠٥ ـ (١) عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريم، حكَماً عَدْلاً، فيكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكونَ السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها».

(باب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام)

(الفصل الأول)

٥٥٠٥ ـ **(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً)** بفتحتين أي حاكماً **(عدلاً)** أي عادلاً **(فيكسر)** بالرفع وقيل بالنصب والفاء فيه تفصيلية لقوله: حكماً عدلاً، أو تفريعية أي يهدم ويقطع. **(الصليب)** قال في شرح السنة وغيره، أي فيبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية. وقال ابن الملك: الصليب في اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام صلب على خشبة مثلثة على تلك الصورة، وقد يكون فيه صورة المسيح. **(ويقتل الخنزير)** أي يحرم اقتناءه وأكله ويبيح قتله. في شرح السنة: وفيه بيان أن أعيانها نجسة لأن عيسى عليه [الصلاة]والسلام إنما يقتلها على حكم شرع الإسلام والشيء الظاهر المنتفع به لا يباح إتلافه انتهى. وفيه أنه قد يباح لمصلحة دينية أو دنيوية مع أن في كون الخنزير نجس العين بجميع أجزائه خلافاً للعلماء. **(ويضع الجزية)** أي عن أهل الكتاب ويحملهم على الإسلام ولا يقبل منهم غير دين الحق. وقيل: يضع الجزية عنهم لأنه لا يوجد محتاج يقبل الجزية منهم لكثرة المال وقلة أهل الحرص والآمال، ويؤيده قوله: **(ويفيض)** بفتح أوّله من فاض الماء يفيض إذا كثر حتى سال كالوادي على ما في القاموس، أي يكثر. **(المال حتى لا يقبله أحد)** أي من الرجال **(حتى تكون السجدة)** أي الواحدة لما فيها من لذة العبادة. والمراد بالسجدة نفسها أو الصلاة بكمالها لتضمنها لها. **(خيراً من الدنيا وما فيها)** قال الطيبي [رحمه الله تعالى]: حتى الأولى متعلقة بقوله: ويفيض المال، والثانية غاية لمفهوم قوله: فيكسر الصليب الخ. أقول: والأظهر أن الثانية بدل من الأولى أو غاية لما قبلها قائمة مقام العلة لها. قال التوربشتي [رحمه الله]: لم تزل السجدة الواحدة في الحقيقة كذلك، وإنما أراد بذلك أن الناس يرغبون

الحديث رقم ٥٥٠٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩٠. حديث رقم ٣٤٤٨. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٥ حديث رقم (٢٤٢ . ١٥٥). وأخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٣٩. حديث رقم ٢٢٣٣. وابن ماجه في السنن ٢/ ١٣٦٣ حديث رقم ٤٠٧٨.

=ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم ﴿وإِنْ من أهل الكتاب إِلاّ ليؤمنن به قبل موته﴾ الآية. متفق عليه.

٥٥٠٦ ـ (٢) وعنه، قال: قال رسُول الله ﷺ: «واللّهِ لينزلَنّ ابنُ مريم حكماً عادلاً، فَلَيَكْسِرَنَّ الصليبَ وليَقتُلَنَّ الخنزير، وليضَعَنَّ الجزيةَ، وليَتركن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبنَّ الشحناء

في أمر الله ويزهدون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها. **(ثم يقول أبو هريرة: فاقرؤوا إن شئتم: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ الآية)**(١). بالنصب ويجوز رفعها وخفضها وقدمنا وجهها. قال الطيبي [رحمه الله]: استدل بالآية على نزول عيسى عليه [الصلاة]والسلام في آخر الزمان مصداقاً للحديث. وتحريره أن الضميرين في به وقبل موته لعيسى، والمعنى: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله، فتكون الملة واحدة، وهي ملة الإسلام انتهى. وقيل: المعنى ليس أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ عند المعاينة قبل خروج الروح وهو لا ينفع، فضمير به راجع إلى نبينا ﷺ وضمير موته للكتابي. وقيل: كل منهم يؤمن عند الموت بعيسى وأنه عبد الله وابن أمته ولا ينفع. وقيل: ضمير به لله سبحانه، أي كل منهم يؤمن به تعالى عند الموت ولا ينفع، والأولى مذهب أبي هريرة [رضي الله تعالى عنه]في الآية. **(متفق عليه)**.

٥٥٠٦ ـ **(وعنه)** أي عن أبي هريرة رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً)** وفي نسخة: عدلاً. وهو أبلغ. **(فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية)** أي ليحكم بما ذكر **(وليتركن القلاص)** بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول، وهو الملائم لقوله: **(فلا يسعى عليها)** أي لا يعمل على القلاص وهو بكسر القاف جمع القلوص بفتحها وهي الناقة الشابة على ما في النهاية. والمعنى: إنه يترك العمل عليها استغناء عنها لكثرة غيرها، أو معناه لا يأمر أحداً بأن يسعى على أخذها وتحصيلها للزكاة لعدم من يقبلها. ففي النهاية: أي يترك زكاتها فلا يكون لها ساع. وقيل: لا يكون معها راع يسعى. ففي الصحاح: كل من ولي أمر قوم فهو ساع عليهم. وقال المظهر: يعني ليتركن عيسى عليه [الصلاة]والسلام إبل الصدقة ولا يأمر أحداً أن يسعى عليها ويأخذها لأنه لا يجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها، والمراد بالسعي العمل. قال الطيبي [رحمه الله]: ويجوز أن يكون ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب في الأرض لطلب المال وتحصيل ما يحتاج إليه لاستغنائهم. **(ولتذهبن)** أي ولتزولن **(الشحناء)** بفتح أوله أي العداوة التي تشحن القلب وتملؤه من الغضب.

---

(١) سورة النساء ـ آية رقم ١٥٩.

الحديث رقم ٥٥٠٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٤٩١. حديث رقم ٣٤٤٩. ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٥ حديث رقم ٢٤٣/ ١٥٢ وأحمد في المسند ٢/ ٤٩٤.

والتباغُضُ والتحاسدُ، وليَدْعُوَنَّ إلى المال فلا يقبله أحدٌ». رواه مسلم. وفي رواية لهما قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟».

٥٥٠٧ ـ (٣) وعن جابرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالُ طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين

(والتباغض) أي الذي هو سبب العداوة **(والتحاسد)** أي الذي هو باعث التباغض، وكلها نتيجة حب الدنيا فتزول كل هذه العيوب بزوال محبة الدنيا عن القلوب. وقال الأشرف: إنما تذهب الشحناء والتباغض والتحاسد يومئذ لأن جميع الخلق يكونون يومئذ على ملة واحدة وهي الإسلام، وأعلى أسباب التباغض وأكثرها هو اختلاف الأديان. قلت: اليوم كثير من البلدان متفقون على ملة الإسلام وفيهم علماء الأعلام ومشايخ الكرام مع كثرة التباغض والتحاسد والعداوة، بل المقاتلة والمحاربة بين الحكام وليس السبب الباعث عليها إلا حب الجاه بين الأنام والميل إلى المال الحرام. **(وليدعون)** ضبط في نسخة بضم الواو ونسب إلى النووي رحمه الله تعالى ولا وجه له. فالصواب ما في الأصول المعتمدة من أنه بفتح الواو وتشديد النون، وفاعله ضمير عيسى عليه الصلاة والسلام. والمعنى: ليدعون الناس. **(إلى المال)** أي أخذه وقبوله **(فلا يقبله أحد)** أي استغناء بعطاء الأحد **(رواه مسلم)**. **(وفي رواية لهما)** أي لمسلم والبخاري بقرينة ذكر مسلم، فإن الغالب أن يكون قريناً له ففيه نوع تغليب للحاضر على الغائب. **(قال:)** أي النبي ﷺ **(كيف أنتم)** أي حالكم ومآلكم **(إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)** أي من أهل دينكم، وقيل من قريش وهو المهدي. والحاصل أن إمامكم واحد منكم دون عيسى فإنه بمنزلة الخليفة، وقيل فيه دليل على أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام لا يكون من أمة محمد [عليه الصلاة والسلام]بل مقرراً لملته ومعيناً لأمته ومعيناً لأمته عليهما السلام. وفي شرح السنة قال معمر: وإنكم وإمامكم منكم. وقال ابن أبي ذئب عن ابن شهاب: فإمامكم منكم. قال ابن أبي ذئب في معناه: فأمكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم. قال الطيبي [رحمه الله]: فالضمير في أمكم لعيسى ومنكم حال، أي يؤمكم عيسى حال كونه من دينكم. ويحتمل أن يكون معنى إمامكم منكم كيف حالكم وأنتم مكرمون عند الله تعالى، والحال أن عيسى ينزل فيكم وإمامكم منكم عيسى يقتدي بإمائكم تكرمة لدينكم، ويشهد له الحديث الآتي. اهـ. وسيأتي بقية الكلام عليه فيه وهو قوله:

٥٥٠٧ ـ **(وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق)** أما مقاتلة حسية أو معنوية على ظهور الحق، أو حال كونهم على الحق. **(ظاهرين)** أي غالبين،

الحديث رقم ٥٥٠٧: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٧ حديث رقم (٢٤٧ . ١٥٦). وأخرجه أبو داود في السنن ٣/ ١١ حديث رقم ٢٤٨٤. والترمذي في السنن ٤/ ٤٣٧ حديث رقم ٢٢٢٩. وابن ماجه في السنن ١/ ٤ وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٩.

إلى يوم القيامة». قال: «فينزل عيسى ابنُ مريم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا إنَّ بعضكم على بعضٍ أمراءُ، تكرمةَ الله هذه الأمة». رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن: الفصل الثاني.

الفصل الثالث

٥٥٠٨ - (٤) عن عبدِ الله بن عمروٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ

أي على أعدائهم. قال تعالى: ﴿إلا أن حزب الله هم الغالبون﴾. **(إلى يوم القيامة)** أي إلى قرب قيام الساعة **(قال:)** أي النبي ﷺ **(فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم:)** أي المهدي **(تعال)** بفتح اللام، أي أحضر وتقدم. **(صل)** بدل أو استئناف بيان، والمعنى أم. **(لنا)** أي في صلاتنا فإن الأولى بالإمامة هو الأفضل وأنت النبي [ﷺ] لرسول الكمل. وفي رواية: تعال فصل لنا. **(فيقول: لا)** أي لا أصير إماماً لكم لئلا يتوهم بإمامتي لكم نسخ دينكم. وقيل: تعلل بأن هذه الصلاة أقيمت لإمامكم فهو أولى بها، لكن يؤيد الأول إطلاق قوله: **(إن بعضكم على بعض أمراء)** أي دينية أو دنيوية وأن على الإعانة المعية. **(تكرمة الله هذه الأمة)** أي إكراماً منه سبحانه لهذه الجماعة المكرمة. قال القاضي [رحمه الله]: تكرمة الله نصب على المفعول لأجله والعامل محذوف. والمعنى: شرع الله أن يكون إمام المسلمين منهم وأميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتفخيماً لشأنهم، أو على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله. قال التفتازاني في شرح العقائد: الأصح أن عيسى عليه [الصلاة]والسلام يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي لأنه أفضل وإمامته أولى. قال ابن أبي شريف: هذا يوافق ما في مسلم من قوله: وإمامكم منكم. لكنه فيه ما يخالفه وهو حديث جابر. ويمكن الجمع بينهما بأن يكون صلى بهم أول نزوله تنبيهاً على أنه نزل مقتدى به في الحكم على شريعتهم، ثم دعي إلى الصلاة فأشار بأن يؤمهم المهدي إظهاراً لاكرام الله به هذه الأمة. قلت: ويمكن الجمع بالعكس أيضاً وربما يدعي أنه الأولى على أن قوله: إمامكم منكم، ظاهر في أن المهدي هو الإمام والله تعالى أعلم بالمرام. قال: وأما كونه أفضل فلا يلزم منه بطلان الاقتداء بغيره، وأما الأولوية بالأفضلية فيعارضها اظهار تكرمة الله تعالى هذه الأمة بدوام شريعته كما نطق به الحديث. **(رواه مسلم. وهذا الباب خال عن الفصل الثاني)** يعني عن الأحاديث الموصوفة بالحسان على اصطلاح البغوي المعبر عنها بالفصل الثاني على مصطلح صاحب المشكاة.

(الفصل الثالث)

أي الموضوع في الأحاديث الزائدة لصاحب المشكاة على المصابيح المناسبة للباب.

٥٥٠٨ - **(وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: ينزل عيسى ابن مريم**

الحديث رقم ٥٥٠٨: رواه ابن الجوزي في كتاب الوفاء.

إِلى الأرض، فيتزوَّجُ، ويولدُ له، ويمكثُ خمساً وأربعينَ سنةً، ثمّ يموتُ، فيُدْفَنُ معي في قبري، فأقومُ أنا وعيسى ابنُ مريمَ في قبرٍ واحدٍ بينَ أبي بكرٍ وعمرَ». رواه ابنُ الجوزي في «كتاب الوفاء».

(٦) باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته

إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمساً وأربعين سنة) وهذا بظاهره يخالف قول من قال إن عيسى رفع به إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون، ويمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين فيكون مجموع العدد أربعين. لكن حديث مكثه سبعاً رواه مسلم فيتعين الجمع بما ذكر، أو ترجيح ما في الصحيح. ولعل عدد الخمس ساقط من الاعتبار لإلغاء الكسر. **(ثم يموت فيدفن معي)** أي مصاحباً لي **(في قبري)** أي في مقبرتي، وعبر عنها بالقبر لقرب قبره بقبره فكأنهما في قبر واحد. **(فأقوم أنا وعيسى في قبر واحد)** أي من مقبرة واحدة. ففي القاموس: إن في تأتي بمعنى من وكذا في المغني. **(بين أبي بكر وعمر)** [رضي الله عنهما]، أي حال كوننا قائمين واقفين بين أبي بكر وعمر فأحدهما عن يمينهما إيماء إلى تيمنه بالإيمان وأن الإِيمان يمان، والظاهر أنه أبو بكر، والآخر عن يسارهما ليسر الإِسلام وعزه به وهو عمر. وسيأتي في فضائل سيد المرسلين عن عبد الله بن سلام برواية الترمذي عنه قال: مكتوب في التوراة صفة محمد، وعيسى ابن مريم يدفن معه. قال أبو داود: وقد بقي في البيت موضع قبر[1]. أقول: والظاهر اللائق بمقام عيسى عليه [الصلاة]والسلام أن يكون بين النبي ﷺ وبين أبي بكر رضي الله [تعالى]عنه. لكن سيأتي في كلام الجزري أنه يدفن بعد عمر، ولعله نظر إلى تأخر الدفن باعتبار تأخر زمن الموت أو تُكرمة لهذه الأمة وتعظيماً للصحابيين الكريمين أن يكونا بين النبيين العظيمين والله سبحانه [وتعالى]أعلم. **(رواه ابن الجوزي في كتاب الوفاء)**.

(باب قرب الساعة وأن من مات فقد قامت قيامته)

وفي نسخة: القيامة. وأطلق الساعة عليها لأنها تكون بغتة وفجأة، فوقوعها في أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان وإن كانت بالنسبة إلى انتهائها مديدة. وقيل: أطلقت عليها لطولها كما يسمى الزنجي بالكافور تسمية بالضد. **(وأن من مات فقد قامت قيامته)** عطف على قرب الساعة لا على الساعة لفساد المعنى. قال التوربشتي [رحمه الله]: الساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة، وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله على أقسام ثلاثة: الكبرى وهي بعث الناس للجزاء، والقيامة الوسطى وهي انقراض القرن الواحد بالموت، والقيامة الصغرى وهي موت الإِنسان. والمراد هنا هذه أي الأخيرة. والظاهر أن المراد بالساعة هي الكبرى سواء أريد بها

(١) راجع الحديث رقم (٥٧٧٢) والقائل أبو مودود وليس أبو داود.

[كتاب الفضائل والشمائل]

(١) باب فضائل سيّد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

الفصل الأول

٥٧٣٩ ـ (١) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «بُعثتُ من خيرِ قرونِ بني آدمَ قرناً فقرناً، حتى كنتُ من القرنِ الذي كنتُ منه».

(باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه)

اعلم أن تفصيل فضائله وتحصيل شمائله ﷺ شرف وكرم مما لا يحد ولا يحصى، بل ولا يمكن أن يعد ويستقصى؛ وإنما ذكر مؤلف الكتاب في هذا الباب شمة من شمائله ولمة من فضائله تدل على بقية خصائله.

(الفصل الأوّل)

٥٧٣٩ ـ **(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت)** أي ولدت **(من خير قرون بني آدم)** اعلم أن معنى الخيرية في هذا الحديث والاصطفائية في الذي يليه المذكورتين في حق القبائل ليس باعتبار الديانة، بل باعتبار الخصائل الحميدة والشمائل السعيدة. **(قرناً فقرناً)** قيل: إنه حال للتفضيل والفاء فيه للترتيب في الفضل على سبيل الترقي من القرن السابق إلى القرن اللاحق، ويدل عليه قوله: **(حتى كنت)** أي صرت **(من القرن الذي كنت منه)** أي وجدت، والقرن من الناس أهل زمان واحد. وقد قال ﷺ: خير القرون قرني. وفي شرح السنة: القرن كل طبقة مقترنين في وقت. قيل: سمي قرناً لأنه يقرن أمة بأمة وعالماً بعالم. وهو مصدر قرنت، أي وصلت وجعل اسماً للوقت، أو لأهله. وقيل: القرن ثمانون سنة. وقيل: أربعون، وقيل: مائة. اهـ. والقول الأوّل هو المراد هنا. فالمعنى: بعثت من خير

الحديث رقم ٥٧٣٩: أخرجه البخاري في صحيحه ٦/٥٦٦. حديث رقم ٣٥٥٧. وأحمد في المسند ٢/ ٣٧٣.

وفي رواية للترمذي: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى [من ولد إسماعيل] بني كنانة».

٥٧٤١ ـ (٣) وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ،

ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن النضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان. اهـ. وقد ضبطت الأسماء المذكورة في رسالتي المسماة المسطورة. **(رواه مسلم)** وكذا الترمذي، على ما في الجامع[1]. **(وفي رواية للترمذي:)** أي عن واثلة أيضاً **(إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة)** وتمام الحديث على ما في الجامع: واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم[2].

٥٧٤١ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)** في شرح مسلم للنووي، قال الهروي: السيد هو الذي يفوق قومه في الخير. وقال غيره: هو الذي يفزع إليه في النوائب والشدائد فيقوم بأمورهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم. والتقييد بيوم القيامة مع أنه ﷺ في الدنيا والآخرة معناه، أنه يظهر يوم القيامة سودده بلا منازع ولا معاند، بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهو قريب من معنى قوله تعالى: **﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾** [غافر ـ ١٦]. مع أن الملك له قبل ذلك، لكن كان في الدنيا من يدعي الملك أو من يضاف إليه مجازاً فانقطع كل ذلك في الآخرة. وفي الحديث دليل على فضله ﷺ على كل الخلق، لأن مذهب أهل السنة أن الآدمي أفضل من الملائكة، وهو ﷺ أفضل الآدميين بهذا الحديث وغيره. وأما الحديث الآخر: لا تفضلوني بين الأنبياء فجوابه من خمسة أوجه، أحدها أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، والثاني قاله أدباً وتواضعاً. والثالث أن المنهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول. والرابع إنما نهي عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة. والخامس أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوّة ولا تفاضل فيها، وإنما التفاضل في الخصائص وفضائل أخرى. ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال تعالى: **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾** [البقرة ـ ٢٥٣]. وقد قال أيضاً: **﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾**

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٠٥ حديث رقم ١٦٨٢.

(٢) الجامع الصغير ١/ ١٠٥ حديث رقم ١٦٨٣.

الحديث رقم ٥٧٤١: أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢ حديث رقم (٣ . ٢٢٧٨) وأبو داود ٥/ ٥٤ حديث رقم ٤٦٧٣. والترمذي ٥/ ٥٤٨ حديث رقم ٣٦١٥. والدارمي ١/ ٤١ حديث رقم ٥٢. وأحمد في المسند ٣/ ٢.

وأوّلُ مَنْ ينشقُّ عنه القبرُ، وأوّلُ شافعٍ، وأوّلُ مُشَفَّعٍ». رواه مسلم.

٥٧٤٢ ـ (٤) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أكثرُ الأنبياءِ تبعاً يومَ القيامةِ، وأنا أوّلُ مَن يقْرَعُ بابَ الجنةِ». رواه مسلم.

٥٧٤٣ ـ (٥) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «آتي بابَ الجنّةِ

[الإسراء ـ ٥٥]. **(وأوّل من ينشق عنه القبر)** أي فهو أوّل من يبعث من قبره ويحضر في المحشر كما رواه الترمذي عن أنس: أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر[1]. وفي رواية للترمذي والحاكم عن ابن عمر: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة»[2]. وفي رواية للترمذي عن أبي هريرة: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[3]. وأوّل شافع، أي في ذلك المحضر. وأوّل مشفع، بتشديد الفاء المفتوحة أي أوّل من تقبل شفاعته على الإطلاق في أنواع الشفاعات. وفيه دليل أيضاً على أنه ﷺ أفضل المخلوقات وأكمل الموجودات. **(رواه مسلم.)** وكذا أبو داود. وفي رواية أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر.

٥٧٤٢ ـ **(وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أكثر الأنبياء تبعاً)** بفتحتين جمع تابع، أي اتباعاً يوم القيامة لأن أمته ثلثا أهل الجنة على ما سبق في الحديث. وفيه إشعار بأن أكثرية الأتباع توجب أفضلية المتبوع، وكذلك الإمام عاصم من بين القراء. فأبو حنيفة رحمه الله له حظ عظيم ونصيب جسيم من ذلك، فإن غالب أهل الإسلام من أتباعه في فروع الأحكام. **(وأنا أوّل من يقرع)** بفتح الراء أي يدق ويستفتح. **(باب الجنة)** أي فيفتح له فيدخلها **(رواه مسلم.)** وروى ابن النجار عن أنس أيضاً: أنا أوّل من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع.

٥٧٤٣ ـ **(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: آتي)** أي أجيء **(باب الجنة**

---

(١) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١٠.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٥ والترمذي ٥/ ٥٨١ حديث رقم ٣٦٩٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١١.

الحديث رقم ٥٧٤٢: أخرجه مسلم ١/ ١٨٨ حديث رقم ٣٣١/ ١٩٦.

الحديث رقم ٥٧٤٣: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٨٨ حديث رقم (٣٣٣. ١٩٧). وأحمد في المسند ٣/ ١٣٦.

فكنتُ أنا سَدَدْتُ موضعَ اللبِنةِ، خُتم بيَ البُنيانُ وخُتِمَ بي الرسلُ». وفي رواية: «فأنا اللبِنةُ، وأنا خاتَمُ النَّبِيِّينَ». متفق عليه.

٥٧٤٦ ـ (٨) وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما من الأنبياءِ من نبي إِلا قدْ أُعطي منَ الآياتِ ما مثلُه آمنَ عليه البشرُ،

موضع الاستغراب في ذلك الشأن. (فكنت) أي فصرت (أنا) ضمير فصل للتأكيد وإفادة الحصر على وجه التأبيد. (سددت موضع اللبنة) أي لكوني خاتم النبيين (ختم بي البنيان) حال أو استئناف بيان. والمراد به بنيان الدين المشبه بذلك البنيان. (وختم بي الرسل) الظاهر أنهم هنا بمعنى الأنبياء إما على القول بالترادف، أو باعتبار التجريد، لأن الرسول نبي أمر بالتبليغ. ويدل عليه قوله: (وفي رواية: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) بكسر التاء ويفتح فيه إيماء إلى ما ورد عنه ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1]. قال الطيبي: هذا من التشبيه التمثيلي شبه الأنبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وإرشادهم الناس إلى مكارم الأخلاق، بقصر شيد بنيانه وأحسن بناؤه. لكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خلله من اللبنة فبعث نبينا لسد ذلك الخلل، مع مشاركته إياهم في تأسيس[2] القواعد ورفع البنيان. هذا على أن يكون الاستثناء منقطعاً. ويجوز أن يكون متصلاً من حيث المعنى، إذ حاصل المعنى تعجبهم المواضع إلا موضع تلك اللبنة، وليس ذلك المصلح إلا ما اختص به من معنى المحبة وحق الحقيقة الذي يعتنيه أهل العرفان. وقوله: أنا سددت موضع اللبنة. يحتمل أن يكون هو الساد بلبنة ذلك الموضع وأن يسده بنفسه ويكون بمنزلة اللبنة. ويؤيد هذه الرواية الأخرى من قوله: فأنا اللبنة (متفق عليه).

٥٧٤٦ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: ما من الأنبياء من نبي) زيد من الثانية للمبالغة والأولى للتبعيض. والمعنى ليس نبي من الأنبياء. (إلا قد) وفي الجامع إلا وقد (أعطي من الآيات) أي المعجزات وخوارق العادات. ومن بيان لما في قوله: (ما مثله آمن عليه البشر) وهي موصولة ومثله مبتدأ وآمن خبره. وعليه يتعلق بآمن لتضمنه معنى الاطلاع كأنه قال: آمن للاطلاع عليه البشر، أو بحال محذوف. أي آمن البشر واقفاً أو مطلعاً عليه، والمفعول محذوف. والمعنى: أن كل نبي قد أعطي من المعجزات ما إذا شوهد واطلع عليه دعا الشاهد إلى تصديقه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة. هذا خلاصة كلام بعض الشراح من علمائنا. وقال الطيبي: من فيه بيانية، ومن الثانية زائدة تزاد بعد النفي. وما في ما مثله موصولة وقعت مفعولاً ثانياً لأعطي، ومثله مبتدأ وآمن خبره، والجملة صلة الموصول. والراجع إلى الموصول ضمير المجرور في عليه وهو حال، أي مغلوباً عليه في

---

(١) أخرجه أحمد عن أبي هريرة بلفظ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» ٢/ ٣٨١.

(٢) في المخطوطة «تأييد».

الحديث رقم ٥٧٤٦: أخرجه البخاري في صحيحه ٩/ ٣. حديث رقم ٤٩٨١. أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٤ حديث رقم (٢٣٩ ـ ١٥٢). وأحمد في المسند ٢/ ٣٤١.

وإنما كانَ الذي أُوتيتُ وحياً أَوْحى اللّهُ إِليّ، وأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يومَ القيامةِ». متفق عليه.

٥٧٤٧ ـ (٩) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطِيتُ خمساً لم يُعطهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ،

التحدي والمباراة. والمراد بالآيات المعجزات. وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى: ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ [البقرة ـ ٢٣]. أي مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم. يعني: ليس نبي من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوّته الشيء الذي من صفته، أنه إذا شوهد اضطر الشاهد إلى الإيمان به. وتحريره أن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة، كقلب العصا ثعباناً في زمان موسى عليه السلام، وإخراج اليد البيضاء، لأن الغلبة في زمنه للسحر فأتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم إلى الإيمان. وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فأتاهم بما هو أعلى من الطب، وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. وفي زمن رسولنا ﷺ البلاغة والفصاحة فجاء القرآن وأبطل الكل. اهـ. وفيه تأمل من جهة قوله: أبطل الكل. فالصواب أن يقال: فجاء القرآن معجزة مشتهرة دائمة إلى انقراض الزمان، بل أبد الآباد لما يتلى في درجات الجنان، بل يسمع من كلام الرحمٰن. وهذا معنى قوله: (**وإنما كان الذي أوتيت**) وفي الجامع أوتيته، والموصول صفة لمحذوف. أي كان خرق العادة الذي أعطيته بالخصوص. (**وحياً**) أي كلاماً منزلاً علي، نزل به الروح الأمين. (**أوحى الله إلي**) أي لا غيره، فالمراد بالوحي هنا القرآن الذي هو في نفسه دعوة وفي نظمه معجزة وهو لا ينقرض بموته كما تنقرض معجزات غيره. قال القاضي وغيره: أي معظم الذي أوتيت وأفيده إذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما أوتيه [غيره]. والمراد بالوحي القرآن البالغ أقصى غاية الإعجاز في النظم. والمعنى وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات، فإنه يشتمل على الدعوات والحجة ويستمر على مر الدهور والأعصار، وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون له والغائبون عنه والموجودون بعده إلى يوم القيامة على السواء. ولذلك رتب عليه قوله: (**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**) وقد حقق الله رجاءه كما تقدم والله أعلم. (**متفق عليه.**) ورواه أحمد.

٥٧٤٧ ـ (**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً**) أي من الخصائل والفضائل (**لم يعطهن أحد قبلي**) أي من الأنبياء، فمن المحال أن يعطى أحد بعده من الأولياء. (**نصرت**) أي نصرني ربي على أعدائي. (**بالرعب**) بضم فسكون وبضمتين، أي بخوف العدوّ مني. (**مسيرة شهر**) أي في قدر مسيرة شهر بيني وبينه من قدام أو وراء. وفي

الحديث رقم ٥٧٤٧: أخرجه البخاري ١/ ٤٣٥. حديث رقم ٣٣٥. ومسلم ١/ ٣٧٠ حديث رقم (٣/ ٥٢١). والنسائي في السنن ١/ ٢٠٩ حديث رقم ٤٣٢.

وإنما كانَ الذي أُوتيتُ وحياً أَوْحى اللَّهُ إليّ، وأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يومَ القيامةِ». متفق عليه.

٥٧٤٧ ـ (٩) وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُعطيتُ خمساً لم يُعطهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ،

التحدي والمباراة. والمراد بالآيات المعجزات. وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى: ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ [البقرة ـ ٢٣]. أي مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم. يعني: ليس نبي من الأنبياء إلا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوّته الشيء الذي من صفته، أنه إذا شوهد اضطر الشاهد إلى الإيمان به. وتحريره أن كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه، فإذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة، كقلب العصا ثعباناً في زمان موسى عليه السلام، وإخراج اليد البيضاء، لأن الغلبة في زمنه للسحر فأتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم إلى الإيمان. وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فأتاهم بما هو أعلى من الطب، وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص. وفي زمن رسولنا ﷺ البلاغة والفصاحة فجاء القرآن وأبطل الكل. اهـ. وفيه تأمل من جهة قوله: أبطل الكل. فالصواب أن يقال: فجاء القرآن معجزة مشتهرة دائمة إلى انقراض الزمان، بل أبد الآباد لما يتلى في درجات الجنان، بل يسمع من كلام الرحمٰن. وهذا معنى قوله: (**وإنما كان الذي أوتيت**) وفي الجامع أوتيته، والموصول صفة لمحذوف. أي كان خرق العادة الذي أعطيته بالخصوص. (**وحياً**) أي كلاماً منزلاً علي، نزل به الروح الأمين. (**أوحى الله إلي**) أي لا غيره، فالمراد بالوحي هنا القرآن الذي هو في نفسه دعوة وفي نظمه معجزة وهو لا ينقرض بموته كما تنقرض معجزات غيره. قال القاضي وغيره: أي معظم الذي أوتيت وأفيده إذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما أوتيه [غيره]. والمراد بالوحي القرآن البالغ أقصى غاية الإعجاز في النظم. والمعنى وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات، فإنه يشتمل على الدعوات والحجة ويستمر على مر الدهور والأعصار، وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون له والغائبون عنه والموجودون بعده إلى يوم القيامة على السواء. ولذلك رتب عليه قوله: (**فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**) وقد حقق الله رجاءه كما تقدم والله أعلم. (**متفق عليه.**) ورواه أحمد.

٥٧٤٧ ـ (**وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً**) أي من الخصائل والفضائل (**لم يعطهن أحد قبلي**) أي من الأنبياء، فمن المحال أن يعطى أحد بعده من الأولياء. (**نصرت**) أي نصرني ربي على أعدائي. (**بالرعب**) بضم فسكون وبضمتين، أي بخوف العدوّ مني. (**مسيرة شهر**) أي في قدر مسيرة شهر بيني وبينه من قدام أو وراء. وفي

الحديث رقم ٥٧٤٧: أخرجه البخاري ١/ ٤٣٥. حديث رقم ٣٣٥. ومسلم ١/ ٣٧٠ حديث رقم (٣/ ٥٢١). والنسائي في السنن ١/ ٢٠٩ حديث رقم ٤٣٢.

وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً فأيُّما رجلٍ من أُمَّتي أدركتْه الصَّلاةُ فليُصلِّ، وأُحلَّتْ لي المغانمُ ولم تحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيتُ الشَّفاعةَ، وكانَ النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعثْتُ إلى النَّاسِ عامَّةً». متفق عليه.

شرح الطيبي: الرعب الفزع والخوف، وقد أوقع الله تعالى في قلوب أعداء النبي ﷺ الخوف منه، فإذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه. **(وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)** في شرح السنة: أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم. وأباح الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا تخفيفاً عليهم وتيسيراً، ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس. وقوله: طهوراً أراد به التيمم. اهـ. وفي الحمام والمقبرة تفصيل قدمناه. وقيل: معناه أنهم كانوا لا يصلون إلا فيما تيقنوا طهارته من الأرض. وخصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا فيما تيقنا نجاسته، ثم صرح بعموم هذا الحكم وفرع على ما قبله بقوله: **(فأيما رجل)** أي شخص **(من أمتي أدركته الصلاة)** أي وجبت عليه ودخل وقتها في أي موضع. **(فليصل)** أي في ذلك الموضع بشروطه المعتبرة في صحة الصلاة. **(وأحلت لي المغانم)** أي الغنائم، وهي الأموال المأخوذة من الكفار. **(ولم تحل)** وفي نسخة بصيغة المجهول، أي لم تبح الغنائم. **(لأحد قبلي)** أي من الأنبياء بل غنائمهم توضع فتأتي نار تحرقها، هكذا أطلقه بعض الشراح من علمائنا. وقال ابن الملك: أي من قبلنا من الأمم إذا غنموا الحيوانات يكون ملكاً للغانمين دون الأنبياء، فخص نبينا ﷺ بأخذ الخمس والصفيّ، وإذا غنموا غيرها جمعوه، فتأتي نار فتحرقه. أقول: ولعل الحكمة في إحراق الغنيمة تحصيل تحسين النية وتزيين الطوية في مرتبة الإخلاص في الجهاد، والله أعلم بالعباد ورؤوف بالعباد. **(وأعطيت الشفاعة)** أل فيه للعهد، أي الشفاعة العامة للإراحة من المحشر المعبر عنها بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الأوّلون والآخرون. **(وكان النبي)** اللام فيه للاستغراق، أي وكان كل نبي من قبلي. **(يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس)** أي إلى أقوام مختلفة منهم غير مختص بقوم من العرب. **(عامة)** أي شاملة للعرب والعجم. قال الطيبي: التعريف في النبي لاستغراق الجنس وهو أشمل من لو جمع، لما تقرر في علم المعاني أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع، لأن الجنسية في المفرد قائمة في وحدانه، فلا يخرج منه شيء. وفي الجمع فيما فيه الجنسية من الجموع فيخرج منه واحد أو اثنان على الخلاف، في أن أقل الجمع اثنان أو ثلاثة. اهـ. وقيل: اللام فيه للجنس عند النحويين، وللعهد عند الأصوليين. وهو لبيان الماهية المتعلقة بالذهن، لا لتعيين الذات. وتلك الماهية هي النبوّة. **(متفق عليه.)** ورواه النسائي. وفي رواية أحمد عن علي كرم الله وجهه: أعطيت ما لم يعطه أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد، وجعل لي التراب طهوراً وجعلت أمتي خير الأمم[1]. وروى الحرث وابن مردويه عن أنس ولفظه: أعطيت ثلاث خصال: أعطيت صلاة في الصفوف وأعطيت السلام. وهو تحية أهل الجنة وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن

---

(١) أحمد في المسند ١/ ٩٨.

٥٧٤٨ ـ (١٠) وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسول الله[1] ﷺ قال: «فُضِّلتُ على الأنبياءِ بستٍ: أُعطيتُ جوامعَ الكلِمِ، ونصرتُ بالرُّعبِ، وأُحلَّتْ لي الغنائمُ، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجداً وطَهوراً، وأُرسلتُ إِلى الخلقِ كافةً، وخُتِمَ بيَ النَّبيُّونَ».

كان قبلكم. إلا أن يكون الله أعطاها هارون. فإن موسى كان يدعو ويؤمن هارون.

٥٧٤٨ ـ **(وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: فضلت على الأنبياء بست)** قال التوربشتي: وفي حديث جابر: بخمس، وليس هذا باختلاف تضاد وإنما هو اختلاف زمان، يكون فيه حديث الخمس متقدماً وذلك أنه أعطيها فحدث به، ثم زيد له السادسة فأخبر عن ست. قال ابن الملك: فإن قلت: هذا إنما يتم لو ثبت تأخر الدال على الزيادة. قلت: إن ثبت فلا كلام، وإلا فيحمل على أنه إخبار عن زيادتها في المستقبل، عبر عنه بالماضي تحقيقاً لوقوعه. اهـ. وقال صاحب الخلاصة: ويجوز أن يكون ذكر الخمس أو الست لمناسبة المقام، وحينئذ جاز أن يكون سبعاً، كما إذا ضمت الشفاعة إلى هذه الست. قلت: ويجوز أن تكون زائدة على السبع لما سيأتي ولما تقدم والله أعلم. **(أعطيت جوامع الكلم)** أي قوة إيجاز في اللفظ مع بسط في المعنى فأبين بالكلمات اليسيرة المعاني الكثيرة، وقد جمعت أربعين حديثاً من الجوامع الواردة على الكلمتين اللتين هما أقل مما يتصوّر منه تركب الكلام، ويتأتى منه إسناد المرام نحو قوله عليه السلام: «العدة دين»[2]، والمستشار مؤتمن[3]، و«لا تغضب»[4]. وأمثال ذلك. وقد روى أبو يعلى في مسنده عن عمر رضي الله عنه: أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً. وفي شرح السنة، قيل: جوامع الكلم هي القرآن، جمع الله سبحانه بلطفه معاني كثيرة في ألفاظ يسيرة. وقيل: إيجاز الكلام في إشباع من المعنى، فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيراً من المعاني وأنواعاً من الكلام. **(ونصرت بالرعب)** أطلقه هنا وقيد غايته فيما سبق، بمسيرة شهر. **(وأحلت لي)** أي لأجلي على أمتي. **(الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة)**. أي إلى الموجودات بأسرها عامة من الجن والانس والملك والحيوانات والجمادات، كما بينته في الصلوات العلية على الصلوات المحمدية. قال الطيبي: يجوز أن يكون كافة مصدراً، أي أرسلت رسالة عامة لهم محيط بهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد، وأن يكون حالاً إما من الفاعل، والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية. والعلامة، وإما من المجرور، أي مجموعين. **(وختم بي النبيون)** أي وجودهم فلا يحدث بعدي نبي ولا يشكل بنزول عيسى عليه السلام، وترويج دين نبينا ﷺ على أتم النظام وكفى به شهيداً شرفاً، وناهيك به فضلاً على

الحديث رقم ٥٧٤٨: أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧١. حديث رقم (٥. ٥٢٣) وأحمد في المسند ٢/ ٤١٢.

(١) في المخطوطة «النبي» ﷺ.

(٢) الطبراني في الأوسط ذكره في الجامع الصغير ٢/ ٣٥٠ حديث رقم ٥٦٨٢.

(٣) الترمذي ٥/ ١١٥ حديث ٢٨٢٢.

(٤) أخرجه البخاري. وكذلك الترمذي حديث رقم ٢٠٢٠.

رواه مسلم.

٥٧٤٩ ـ (١١) وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بُعثتُ بجوامِعِ الكلِمِ، ونصِرتُ بالرُّعبِ، وبَينا أنا نائمٌ رأيتُني أُوتيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأرضِ فوُضعتْ في يدي». متفق عليه.

٥٧٥٠ ـ (١٢) وعن ثوبانَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّٰهَ زَوَى ليَ

سائر الأنام. قال الطيبي: أغلق باب الوحي وقطع طريق الرسالة وسد، وأخبر باستغناء الناس عن الرسل وإظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين. كما قال تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ [المائدة ـ ٣]. وأمّا باب الإلهام فلا ينسد وهو مدد يعين النفوس الكاملة، فلا ينقطع لدوام ضرورة حاجتها إلى تأكيد وتجريد وتذكير. وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا إلى التذكير والتنبيه لاستغراقهم في الوساوس وانهماكهم في الشهوات. فالله تعالى أغلق باب الوحي بحكمته وفتح باب الإلهام برحمته لطفاً منه بعباده. (**رواه مسلم**) وكذا الترمذي. وفي رواية الطبراني عن السائب بن يزيد: فضلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة وادخرت شفاعتي لأمتي ونصرت بالرعب شهراً أمامي وشهراً خلفي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. وفي رواية البيهقي عن أبي أمامة: فضلت بأربع: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أتى الصلاة فلم يجد ما يصلي عليه وجه الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الناس كافة ونصرت بالرعب من مسيرة شهرين يسير بين يدي وأحلت لي الغنائم. وفي رواية الطبراني عن أبي الدرداء: فضلت بأربع: جعلت أنا وأمتي في الصلاة كما تصف الملائكة وجعل الصعيد لي وضوءاً وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم. فبعض الأحاديث وإن دل بمنطوقه، على أنه ﷺ مخصوص من عند الله تعالى بفضائل معدودة، لكن لا يدل مفهومه على حصر فضائله، فيها فإن فضائله غير منحصرة.

٥٧٤٩ ـ (**وعنه**) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ قال: بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي**) في النهاية: أراد ما سهل الله تعالى له ولأمته من افتتاح البلاد المتعددات واستخراج الكنوز المتنوّعات. اهـ. أو المراد منه معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة وسائر الفلزات. (**متفق عليه**) ورواه النسائي.

٥٧٥٠ ـ (**وعن ثوبان**) وهو مولى النبي ﷺ (**قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله زوى لي**

الحديث رقم ٥٧٤٩: أخرجه البخاري ٦/ ١٢٨. حديث رقم ٢٩٧٧. وأخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٣٧١ حديث رقم (٦ . ٥٢٢). والنسائي في السنن ٦/ ٣ حديث رقم ٣٠٨٧. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٤.

الحديث رقم ٥٧٥٠: أخرجه مسلم ٤/ ٢٢١٥. حديث رقم (١٩ . ٢٨٨٩). وأبو داود ٤/ ٤٥ حديث رقم ٤٢٥٢. والترمذي ٤/ ٤١٠ حديث رقم ٢١٧٦ وابن ماجه ٢/ ١٣٠٤ حديث رقم ٣٩٥٢. وأحمد في المسند ٥/ ٢٧٨.

فأعطانيها، وسألتُه أنْ لا يذيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ فمنعَنيها». رواه الترمذي، والنسائي.

٥٧٥٥ ـ (١٧) وعن أبي مالك الأشعريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ أجارَكم منْ ثلاثِ خلالٍ: أنْ لا يدعُوَ عليكم نبيُّكم فتهلكوا جميعاً، وأنْ لا يظهرَ أهلُ الباطلِ على أهلِ الحقِّ، وأن لا تجتمِعوا على ضلالة».

يحصل به الهلاك الكلي، ولا إعلاء كلمته السفلى. **(فأعطانيها. وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض)** أي حربهم وقتلهم وعذابهم **(فمنعنيها)** أي لما سبق من الحكمة. قال الطيبي [رحمه الله]: هو من قوله تعالى: **﴿أو يلبسكم شيعاً﴾**. أي يجعل كل فرقة منكم متابعة لإمام وينشب القتال بينكم وتختلطوا وتشتبكوا في ملاحم القتال يضرب بعضكم رقاب بعض ويذيق بعضكم بأس بعض. المعنى يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى. اهـ. وفي المعالم ذكر بإسناده المتصل إلى البخاري مسنداً إلى جابر قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾**. قال: أعوذ بوجهك. **﴿أو من تحت أرجلكم﴾**. قال: أعوذ بوجهك. **﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾** [الأنعام ـ ٦٥]. قال رسول الله ﷺ: هذا أهون، أو هذا أيسر[١]. **(رواه الترمذي والنسائي)**.

٥٧٥٥ ـ **(وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله عزّ وجلّ أجاركم)** أي حفظكم وأنقذكم **(من ثلاث خلال)** أي خصال **(أن لا يدعو عليكم نبيكم)** أي يكفر بعضكم قاله ابن الملك. والأظهر أنه لا يدعو عليكم دعاء الاستئصال بالإهلاك **(فتهلكوا جميعاً)** أي كما دعا نوح وموسى ذكره ابن الملك. لكن دعاء موسى كان خاصاً ببعض قومه وهو القبط دون السبط، كما لا يخفى. **(وأن لا يظهر)** أي لا يغلب **(أهل الباطل)** أي وإن كثر أنصاره **(على أهل الحق)** أي وإن قل أعوانه. ومنه قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[٢]. على ما رواه الحاكم عن عمر. وفي رواية ابن ماجه عن أبي هريرة: «لا يزال طائفة من أمتي قوّامة على أمر الله لا يضرها من خالفها»[٣]. ولعله مقتبس من قوله تعالى: **﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾** [التوبة ـ ٣٢]. وفي المصابيح: على الحق. قال شارح له: أي بحيث يمحقه ويطفىء نوره. وإن كانت الرواية على أهل الحق فإنه أراد به الظهور حتى لا يبقى لهم فئة ولا جماعة. قال التوربشتي: يريد أن الباطل وإن كثرت أنصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفىء نوره. ولم يكن ذلك بحمد الله مع ما ابتلينا به من الأمر الفادح والمحنة العظمى بتسلط الأعداء علينا. ومع استمرار الباطل فالحق أبلج والشريعة قائمة لم تخمد نارها ولم يندرس منارها. **(وأن لا تجتمعوا على ضلالة)** أي وأن لا تتفقوا على شيء باطل. وهذا يدل

---

(١) معالم التنزيل ٢/ ١٠٤.

الحديث رقم ٥٧٥٥: أخرجه أبو داود ٤/ ٤٥٢ حديث رقم ٤٢٥٣.

(٢) الحاكم في المستدرك ٤/ ٤٤٩. (٣) ابن ماجه ١/ ٥ حديث رقم ٧. ولفظه «لا تزال»...

رواه أبو داود.

٥٧٥٦ ـ (١٨) وعن عوفِ بن مالكٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لنْ يجمعَ اللّهُ على هذِه الأمّةِ سيفَينِ: سَيفاً منها وسَيفاً منْ عدُوِّها». رواه أبو داود.

٥٧٥٧ ـ (١٩) وعن العبّاسِ، أنّه جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فكأنّه سمعَ شيئاً، فقامَ النبيُّ ﷺ على المنبرِ، فقال: «مَن أنا؟» فقالوا: أنتَ رسولُ الله.

على أن إجماع الأمة حجة، وأن ما هو حسن عند الناس فهو حسن عند الله، ويقويه قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى وفصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [النساء ـ ١١٥]. فهذا مأخذ حسن لقولهم: الإجماع حجة. استنبطه الشافعي [رحمه الله] من الكتاب. قال الطيبي: وحرف النفي في القرائن زائد مثل قوله تعالى: ﴿ما منعك ألا تسجد﴾ [الأعراف ـ ١٢]. وفائدته تأكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه. وذلك أن الإجارة إنما تستقيم إذا كانت الخلال مثبتة أو منفية. **(رواه أبو داود)**.

٥٧٥٦ ـ **(وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين سيفاً منها وسيفاً من غيرها)** أي بل اختار الله الأيسر منهما وهو السيف منها دون السيف من غيرها على وجه الاستئصال، وإلا فقد يجتمعان في بعض الأحوال. ففيه إشارة إلى بقاء الملة وبشارة في حفظ هذه الأمة إلى يوم القيامة. لما صح في مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعاً: «لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»(١). وقال القاضي: معناه أن سيوفهم وسيوف أعدائهم لا يجتمعان عليهم فيؤديان إلى استئصالهم، بل إذا جعلوا بأسهم بينهم سلط عليهم العدو فيشغلهم به عن أنفسهم ويكف عنهم بأسهم. وهو من قول الشيخ التوربشتي: وقال الطيبي: الظاهر أن يقال: إنه تعالى وعدني أن لا يجمع على أمتي محاربتين، محاربة بعضهم بعضاً ومحاربة الكفار معهم، بل تكون إحداهما فإذا كانت إحداهما لا يكون الأخرى لأنه موافق للأحاديث السابقة، لأنه ﷺ سأل ربه تعالى أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم يستأصلهم، وسأله أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فأجاب الأول ومنع الثاني؛ ولم يجمع بين المنعين. **(رواه أبو داود)**.

٥٧٥٧ ـ **(وعن العباس أنه جاء)** أي غضبان **(إلى النبي ﷺ فكأنه سمع شيئاً)** أي من الطعن في نسبه أو حسبه **(فقام النبي ﷺ على المنبر)** أي ليكون بيان أمره أظهر على رؤوس المحضر **(فقال: من أنا)** استفهام تقرير على جهة التبكيت **(فقالوا: أنت رسول الله ﷺ)** فلما كان قصده ﷺ بيان نسبه وهم عدلوا عن ذلك المعنى، ولم يكن الكلام في ذلك المبنى؛

الحديث رقم ٥٧٥٦: أخرجه أبو داود ٤/ ٤٨٥ حديث رقم ٤٣٠١. وأحمد في المسند ٥٧٥٦.

(١) مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢٤ حديث رقم ١٩٢٢.

الحديث رقم ٥٧٥٧: أخرجه الترمذي ٥/ ٥٤٥ حديث رقم ٣٦٠٧ وأحمد في المسند.

فقال: «أنا محمَّدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ، إِنَّ اللَّهَ خلقَ الخلقَ فجعلَني في خيرِهم، ثمَّ جعلهم فرقتَيْن، فجعلني في خيرِهم فرقةً، ثمَّ جعلهم قبائلَ فجعلَني في خيرهم قبيلةً، ثمَّ جعلهم بيوتاً فجعلَني في خيرِهم بيتاً، فأنا خيرُهم نفساً وخيرُهم بيتاً».

(قال: **أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب**) يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب. قال الطيبي: قوله: فكأنه سمع مسبب عن محذوف، أي جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعناً من الكفار في رسول الله ﷺ نحو قوله تعالى: ﴿**لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾ [الزخرف ـ ٣١]. كأنهم حقروا شأنه وأن هذا الأمر العظيم الشأن لا يليق إلا بمن هو عظيم من إحدى القريتين كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي مثلاً فأقرهم ﷺ على سبيل التبكيت، على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه. فإنه أولى بهذا الأمر من غيره لأن نسبه أعرف وأروميته أعلى وأشرف. ومن ثم لما قالوا: أنت رسول الله، ردهم بقوله: أنا محمد بن عبد الله. ويعضد هذا التأويل ما روى البخاري عن أبي سفيان أنه حين سأله هرقل عظيم الروم عن نسبه ﷺ فقال: هو فينا ذو نسب. فقال هرقل: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها[1]. ألا ترى كيف جعل النسب ظرفاً لتبعث رأتي بفي، أي في النسب. اهـ. ثم استأنف في بيان ما رزقه الله من طهارة نسبه ونظافة حسبه عموماً وخصوصاً تحدثاً بنعمته وترغيباً لأمته في أمر متابعته. (**فقال: إن الله خلق الخلق**) أي الجن والإنس وأبعد الطيبي وأدخل الملك معهم لقوله: (**فجعلني في خيرهم**) وهو الإنس (**ثم جعلهم**) أي صير هذا الخير بمعنى الخيار أو الأخيار (**فرقتين**) أي عرباً وعجماً (**فجعلني في خيرهم فرقة**) وهم العرب (**ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة**) يعني قريشاً (**ثم جعلهم بيوتاً**) أي بطوناً (**فجعلني في خيرهم بيتاً**) يعني بطن بني هاشم (**فأنا خيرهم نفساً**) أي ذاتاً وحسناً. (**وخيرهم بيتاً**) أي بطناً ونسباً. وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ [التوبة ـ ١٢٨]. وقوله: ﴿**لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم**﴾ [آل عمران ـ ١٦٤]. بفتح الفاء فيهما على قراءة شاذة صحيحة. قال الطيبي: قوله: ثم جعلهم قبائل. بعد قوله: ثم جعلهم فرقتين. إشارة إلى بيان الطبقات الست التي عليها العرب وهي، الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الأفخاذ والفخذ يجمع الفصائل. فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة. وسميت الشعوب لأن القبائل تتشعب منها. فقوله: خلق الخلق أي الملائكة والثقلين فجعلني في خيرهم، أي في العرب. وهلم جراً. فأنا بفضل الله ولطفه على ما في سابقة الأزل خير الخلق نفساً حيث خلقني إنساناً رسولاً خاتماً للرسل تمم دائرة الرسل بي وجعلني نقطة تلك الدائرة يطوف جميعهم حولي ويحتاجون إلي، وخيرهم بطناً حيث نقلني من طيب إلى طيب إلى أن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/٣١ حديث رقم ٧.

السَّابقون يوم القيامة، وإني قائل قولاً غير فخرٍ: إبراهيمُ خليل الله، وموسى صفيُّ الله، وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامة، وإنَّ الله وعدني في أمتي، وأجارهم من ثلاث: لا يعمهم بسنةٍ، ولا يستأصلهم عدو، ولا يجمعهم على ضلالةٍ» رواه الدارمي.

٥٧٦٤ ـ (٢٦) وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أنا قائدُ المرسلينَ ولا فخر، وأنا خاتمُ النَّبيينَ ولا فخر، وأنا أوَّلُ شافعٍ ومشفَّعٍ ولا فخر». رواه الدارميُّ.

٥٧٦٥ ـ (٢٧) وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا أوَّلُ النَّاسِ خروجاً إذا بُعثوا، وأنا قائدُهم إذا وفَدوا، وأنا خطيبُهم إذا أنصَتوا، وأنا مُستشفعهم

السابقون) أي في دخول الجنة وغير ذلك من الفضائل. **(يوم القيامة)** أي في دار العقبى **(وإني قائل قولاً غير فخر)** أي غير مفتخر فيه، بل المقصود منه بيان الواقع. **(إبراهيم خليل الله وموسى صفي الله)** أي مختاره لكلامه **(وأنا حبيب الله)** أي جامع بين نسبتي المحبة والمحبوبية في الدنيا. **(ومعي لواء الحمد)** أي الدال على كوني أحمد ومحمداً. **(يوم القيامة)** أي في المقام المحمود **(وإن الله وعدني)** أي خيراً كثيراً **(في أمتي)** أي في حقهم وشأنهم. **(وأجارهم)** أي أنقذهم وأعاذهم **(من ثلاث)** أي خصال **(لا يعمهم)** أي الله **(بسنة)** أي بقحط ووباء مستأصل لهم. **(ولا يستأصلهم)** أي ولا يأخذ أصلهم ولا يهلكهم بالكلية **(عدو)** أي لله، [أو] لهم من الكفار. **(ولا يجمعهم على ضلالة)** ولعله سبحانه لم يجمعهم على هداية لقوله تعالى: **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك﴾** [هود ـ ١١٨]. وكان هذا مأخذ من قال: اختلاف الأمة رحمة. **(رواه الدارمي)**.

٥٧٦٤ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: أنا قائد المرسلين)** أي مقدمهم في الآخرة **(ولا فخر. وأنا خاتم النبيين)** أي في الدنيا **(ولا فخر)** وعدل عن المرسلين إلى النبيين لأنهم أعم، فتكون نسبة الخاتمية أتم. **(وأنا أوّل شافع ومشفع)** أي وأول مشفع، كما في رواية. **(ولا فخر. رواه الدارمي)**.

٥٧٦٥ ـ **(وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا)** أي من قبورهم **(وأنا قائدهم)** أي متبوعهم **(إذا وفدوا)** أي إذا قدموا **(على الله)** والوفد، جماعة يأتون الملك لحاجة **(وأنا خطيبهم)** أي المتكلم عنهم **(إذا أنصتوا)** أي إذا سكتوا عن الاعتذار متحيرين فأعتذر عنهم عند ربهم د فيكون لي قدرة على الكلام في ذلك المقام دون سائر الأنام. فأطلق اللسان بالثناء على الله تعالى بما هو أهله، ولم يؤذن لأحد حينئذ في التكلم غيري. فهو مخصوص من قوله سبحانه: **﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾** [المرسلات ـ ٣٥ ـ ٣٦]. أو محمول على أوّل الأمر، أو مختص بالكفار. **(وأنا مستشفعهم)** بفتح الفاء على بناء

الحديث رقم ٥٧٦٤: أخرجه الدارمي ١/ ٤٠ حديث رقم ٤٩.

الحديث رقم ٥٧٦٥: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٦ حديث ٣٦١٠. والدارمي ١/ ٣٩ حديث رقم ٤٨.

حُلَّةً منْ حُللِ الجنَّةِ، ثمَّ أقومُ عنْ يمينِ العرشِ ليسَ أحدٌ منَ الخلائقِ يقومُ ذلكَ المقامَ غيري». رواه الترمذيُّ. وفي رواية «جامع الأصول» عنه: «أنا أوَّلُ منْ تنشقّ عنه الأرض فأُكسى».

٥٧٦٧ ـ (٢٩) وعنه، عن النبي ﷺ قال: «سلوا الله لي الوسيلةَ» قالوا: يا رسول الله! وما الوسيلةُ؟ قال: «أعلى درجةٍ في الجنّة لا ينالها إلا رجلٌ واحدٌ وأرجو أن أكون أنا هو». رواه الترمذي.

٥٧٦٨ ـ (٣٠) وعن أبيٍّ بن كعب، عن النبي ﷺ قال: «إذا كانَ يوم القيامةِ كنتُ إمامَ

ما في الجامع وغيره: «وأنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى»[1]. والمعنى: فأبعث فأكسى. (حلة من حلل الجنة. ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري. رواه الترمذي. وفي رواية جامع الأصول:) أي عن أبي هريرة (أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى) أي إلى آخر الحديث. فاختصاره من صاحب المصابيح مخل بالرواية والدراية.

٥٧٦٧ ـ (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال: سلوا الله لي الوسيلة) هي المذكورة في دعاء الأذان: آت محمداً الوسيلة. فيحتمل الإطلاق والتقييد بوقت المسألة. وفي النهاية: هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به. قلت: ومنه قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة ـ ٣٥]. قال الطيبي: وإنما طلب عليه السلام من أمته الدعاء له بطلب الوسيلة افتقاراً إلى الله تعالى وهضماً لنفسه، أو لينتفع أمته ويثاب عليه، أو يكون إرشاداً لهم في أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له. (قالوا: يا رسول الله وما الوسيلة) أي المطلوبة المسؤولة. قال الطيبي: عطف على مقدر، أي نفعل ذلك وما الوسيلة. اهـ. والأظهر أن يقال: أمرتنا بسؤال الوسيلة وما الوسيلة. مع أنه قد يقال لهذه الواو أنها للربط بين الكلام. (قال: أعلى درجة في الجنة لا ينالها) أي لا يدرك تلك الدرجة العالية (إلا رجل واحد) أبهمه تواضعاً (أرجو) وفي نسخة: وأرجو. (أن أكون أنا هو) وضع الضمير المرفوع، أعني هو موضع المنصوب، أعني إياه. (رواه الترمذي) ولفظ الجامع: سلوا الله لي الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو[2]. ورواه ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط عن ابن عباس: سلوا الله لي الوسيلة فإنها لا يسألها عبد في الدنيا إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة[3].

٥٧٦٨ ـ (وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: إذا كان يوم القيامة كنت إمام

---

(١) الجامع الصغير ١/ ١٦٠ حديث رقم ٢٦٩٠.

الحديث رقم ٥٧٦٧: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٦ حديث رقم ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٢/ ٢٦٥.

(٢) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٩ حديث رقم ٥٧٠٣.

(٣) الجامع الصغير ٢/ ٢٨٩ حديث رقم ٤٧٠٤.

الحديث رقم ٥٧٦٨: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٧ حديث رقم ٣٦١٢. وأحمد في المسند ٥/ ١٣٧.

رواه الترمذي.

٥٧٧٠ ـ **(٣٢)** وعن جابرٍ، أن النبي ﷺ قال: «إِن الله بعثني لِتمام مكارم الأخلاق، وكمال محاسن الأفعال». رواه في «شرح السنة».

متعددة. قلت: لا لأن النكرة إذا وقعت في مكان الجمع أفادت الاستغراق، أي أن لكل نبي واحد واحد، واحداً واحداً. كقوله تعالى: ﴿**ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام**﴾ [لقمان ـ ٢٧]. قلت: وفي تنظيره نظر ظاهر، إذ لا محذور في كون كل شجرة لها أقلام، بل هو الظاهر المطلوب في مقام المبالغة[١]، بأن يكون أغصان كل شجرة أقلاماً. **(رواه الترمذي)** وكذا أحمد، وهو كذا في الجامع الصغير بدون قوله: ثم قرأ الخ.

٥٧٧٠ ـ **(وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق)** جمع مكرمة، خصلة يستحق الشخص بها أن يكون كريماً. والمراد من الأخلاق الأحوال. ولذا قوبل بقوله: **(وكمال محاسن الأفعال)** للأمور الظاهرة من العبادات والأقوال. والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس. وحاصله أن شريعته أفضل الأفعال وطريقته أكمل الأحوال. قال ابن الملك: أي أرسلني إلى العالم ليتمم بوجودي مكارم أخلاق عباده وليكمل محاسن أفعالهم. قال: الطيبي: الإضافة فيهما من باب إضافة الصفة إلى الموصوف قال الراغب: كل شيء يشرف في بابه فإنه يوصف بالكرم قال تعالى: ﴿**فأنبتنا فيها من كل زوج كريم**﴾ [لقمان ـ ١٠]. ﴿**ومقام كريم**﴾ [الشعراء ـ ٥٨، الدخان ـ ٢٦]. ﴿**إنه لقرآن كريم**﴾ [الواقعة ـ ٧٧]. وإذا وصف الله تعالى به فهو اسم لإحسانه وأنعامه المتظاهرة، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه. ولا يقال: هو كريم، حتى يظهر ذلك منه. اهـ. وكلامه ينظر إلى أن العطف للتأكيد، وما قدمناه أولى لكونه من التأسيس والتقييد للتأبيد. قال الطيبي: ومعنى هذا الحديث وحديث أبي هريرة: مثلي ومثل الأنبياء، إلى قوله: أنا سددت موضع اللبنة. يلتقيان في معنى إتمام الناقص. اهـ. والذي تقدم في المعنى أتم والله أعلم. **(رواه)** أي البغوي **(في شرح السنة بإسناده)** ورواه ابن سعد والبخاري في الأدب المفرد. والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق[٢]. وروى الحكيم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها: مكارم الأخلاق عشرة. تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في الابن ولا تكون في الأب، وتكون في العبد ولا تكون في سيده. يقسمها الله لمن أراد به السعادة: صدق الحديث وصدق البأس وإعطاء السائل والمكافاة بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء[٣]. والتذمم أن يرعى

---

(١) في المخطوطة «البلاغة».

الحديث رقم ٥٧٧٠: أخرجه البغوي في شرح السنة ١٣/ ٢٠٢ حديث رقم ٣٦٢٢.

(٢) الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٣.

(٣) البيهقي في شعب الإيمان. والترمذي الحكيم. كذا في الجامع الصغير ٢/ ٥٠١ حديث ٨١٩٦.

يصلُّون الصلاة إذا جاء وقتها، يتأزَّرون على أنصافهم، ويتوضؤون على أطرافهم، مُناديهم يُنادي في جوِّ السَّماء، صفُّهم في القتال وصفُّهم في الصلاة سواءٌ، لهم بالليل دويٌّ كدويِّ النحلِ». هذا لفظ «المصابيح». وروى الدارمي مع تغيير يسير.

٥٧٧٢ ـ (٣٤) وعن عبدِ اللَّهِ بنِ سلام، قال: مكتوبٌ في التوراة: صفةُ محمَّدٍ وعيسى ابن مريم يُدْفَنُ معه. قال أبو مَودود:

والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله»(1). وقوله: **(يصلون الصلاة إذا جاء وقتها)** استئناف تعليل لما سبق، أي يراقبون ذلك وينظرون سيرها ليعرفوا مواقيت الصلاة كيلا يفوت عنهم الصلاة في وقتها. ثم استأنف لبيان بقية أحوالهم بقوله: **(يتأزرون)**(2) بتشديد الزاي، أي يشدون إزارهم **(على أنصافهم)** أي من السرة إلى الركبة. ويؤيده ما في [بعض] نسخ المصابيح: على أوساطهم. أو يشدون معقد السراويل. والمراد مبالغتهم في ستر عورتهم. ويجوز أن يكون على بمعنى إلى، أي أن أزرهم إلى أنصاف سوقهم. قال الطيبي: فيه إدماج بمعنى التجلد والتشمر للقيام إلى الصلاة، لأن من شد إزاره إلى ساقه تشمر لمزاولة ما اهتم بشأنه، أو يكون كناية عن التواضع كما أن جر الإزار كناية عن الكبر والخيلاء. **(ويتوضؤون)** أي ويصبون ماء الوضوء **(على أطرافهم)** أي على أماكن الوضوء ويسبغونها. **(مناديهم)** أي مؤذنهم ينادي **(في جوّ السماء)** أي في مكان مرتفع من منارة ونحوها. **(صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء)** أي في كونهم كأنهم بنيان مرصوص. قال الطيبي: شبه صفوفهم في الجماعات بسبب مجاهدتهم النفس الأمارة والشيطان بصف القتال، والمجاهدة مع أعداء الدين. وأخرجه مخرج التشابه في التشبيه، إيذاناً بأن كل واحد منهما يصح أن يكون مشبهاً ومشبهاً به. بل أخر ذكر صف الصلاة ليكون مشبهاً به لكونه أبلغ. **(لهم بالليل دوي)** بفتح الدال وتشديد الياء، أي صوت خفي بالتسبيح والتهليل وقراءة القرآن. **(كدوي النحل هذا لفظ المصابيح وروى الدارمي مع تغيير يسير)**. قلت: كان الأولى ايراد لفظ الدارمي فإنه من أجل المخرجين ونقله أكمل عند المحدثين.

٥٧٧٢ ـ **(وعن عبد الله بن سلام قال: مكتوب في التوراة:)** خبر قوله **(صفة محمد)** أي نعته وجملة قوله **(وعيسى ابن مريم يدفن معه)** عطف على المبتدأ، أي ومكتوب فيها أيضاً أن عيسى يدفن معه. قال الطيبي: هذا هو المكتوب في التوراة، أي مكتوب في التوراة صفة محمد كيت وكيت وعيسى ابن مريم يدفن معه، أو المكتوب صفة محمد كذا وعيسى ابن مريم يدفن معه. **(قال أبو مودود)** وهو أحد رواة الحديث مدني ذكره الطيبي. وقال المؤلف: هو عبد العزيز بن سليمان المدني، رأى أبا سعيد الخدري وسمع السائب بن بريد وعثمان بن ضحاك وعنه ابن مهدي والعقبي وكامل. وثقوه، توفي في إمارة المهدي. له ذكر في باب

---

(1) الحاكم في المستدرك ١/ ٥١.
(2) في المخطوطة «يتأزرؤن».

الحديث رقم ٥٧٧٢: أخرجه الترمذي في السنن ٥/ ٥٤٩ حديث رقم ٣٦١٧.

وقد بقي في البيت موضع قبره. رواه الترمذيُّ.

الفصل الثالث

٥٧٧٣ ـ (٣٥) عن ابن عبَّاس، قال: إنَّ الله تعالى فَضَّل محمَّداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السَّماء. فقالوا: يا أبا عبَّاس! بم فَضَّله الله على أهل السَّماء؟ قال: إنَّ الله تعالى قال لأهل السَّماءِ **﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾** وقال الله تعالى لمحمَّد ﷺ: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر﴾**

فضائل سيد المرسلين. **(وقد بقي في البيت)** أي في حجرة عائشة **(موضع قبر)** فقيل بينه ﷺ وبين الصديقين وهو الأقرب إلى الأدب. وقيل بعد عمر وهو الأظهر، فقد قال الشيخ الجزري: وكذا أخبرنا غير واحد ممن دخل الحجرة ورأى القبور الثلاثة على هذه الصفة، النبي ﷺ مقدم وأبو بكر متأخر عنه رأسه تجاه ظهر النبي ﷺ، ورأس عمر كذلك من أبي بكر تجاه رجلي النبي ﷺ. وبقي موضع قبر واحد إلى جنب عمر. وقد جاء أن عيسى عليه السلام بعد لبثه في الأرض، يحج ويعود فيموت بين مكة والمدينة. فيحمل إلى المدينة فيدفن في الحجرة الشريفة إلى جنب عمر فيبقى هذان الصحابيان الكريمان مصحوبين. بين هذين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ورضي الله عنهما إلى يوم القيام. **(رواه الترمذي)**.

(الفصل الثالث)

٥٧٧٣ ـ **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا: يا أبا عباس)** هو كنية ابن عباس **(بم فضله)** أي الله **(على أهل السماء)** كأنهم قدموا الأهم فالأهم، أو هو على منوال **﴿يوم تبيض وجوه﴾** [آل عمران ـ ١٠٦] الآية. **(قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾**[1]. **وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**[2]). [قال الطيبي]: يفهم التفضيل من صولة الخطاب وغلظته في مخاطبة أهل السماء وفرض ما لا يتأتى منهم وجعله كالواقع، وترتب الوعيد الشديد عليه إظهاراً لكبريائه وجلاله، وأنهم بعداء من أن ينسبوا إلى ما يشاركونه. كقوله: **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾** [الصافات ـ ١٥٨]. تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم، ومن ملاطفته في الخطاب معه ﷺ، وأن ما صدر ويصدر منه مغفور. وجعل فتح مكة علة للمغفرة

الحديث رقم ٥٧٧٣: أخرجه الدارمي ١/٣٨ حديث رقم ٤٦.

(١) سورة الأنبياء ـ آية رقم ٢٩. (٢) سورة الفتح ـ الآيتان رقم ١ و٢.

وقد بقي في البيت موضع قبره. رواه الترمذيُّ.

الفصل الثالث

٥٧٧٣ ـ (٣٥) عن ابن عبَّاس، قال: إنَّ الله تعالى فَضَّل محمَّداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السَّماء. فقالوا: يا أبا عبَّاس! بم فَضَّله الله على أهل السَّماء؟ قال: إنَّ الله تعالى قال لأهل السَّماءِ ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ وقال الله تعالى لمحمَّد ﷺ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخَّر﴾

فضائل سيد المرسلين. **(وقد بقي في البيت)** أي في حجرة عائشة **(موضع قبر)** فقيل بينه ﷺ وبين الصديقين وهو الأقرب إلى الأدب. وقيل بعد عمر وهو الأظهر، فقد قال الشيخ الجزري: وكذا أخبرنا غير واحد ممن دخل الحجرة ورأى القبور الثلاثة على هذه الصفة، النبي ﷺ مقدم وأبو بكر متأخر عنه رأسه تجاه ظهر النبي ﷺ، ورأس عمر كذلك من أبي بكر تجاه رجلي النبي ﷺ. وبقي موضع قبر واحد إلى جنب عمر. وقد جاء أن عيسى عليه السلام بعد لبثه في الأرض، يحج ويعود فيموت بين مكة والمدينة. فيحمل إلى المدينة فيدفن في الحجرة الشريفة إلى جنب عمر فيبقى هذان الصحابيان الكريمان مصحوبين. بين هذين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ورضي الله عنهما إلى يوم القيام. **(رواه الترمذي)**.

(الفصل الثالث)

٥٧٧٣ ـ **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا: يا أبا عباس)** هو كنية ابن عباس **(بم فضله)** أي الله **(على أهل السماء)** كأنهم قدموا الأهم فالأهم، أو هو على منوال ﴿**يوم تبيض وجوه**﴾ [آل عمران ـ ١٠٦] الآية. **(قال: إن الله تعالى قال لأهل السماء: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾**[1]. **وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾**[2]). [قال الطيبي]: يفهم التفضيل من صولة الخطاب وغلظته في مخاطبة أهل السماء وفرض ما لا يتأتى منهم وجعله كالواقع، وترتب الوعيد الشديد عليه إظهاراً لكبريائه وجلاله، وأنهم بعداء من أن ينسبوا إلى ما يشاركونه. كقوله: ﴿**وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً**﴾ [الصافات ـ ١٥٨]. تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم، ومن ملاطفته في الخطاب معه ﷺ، وأن ما صدر ويصدر منه مغفور. وجعل فتح مكة علة للمغفرة

الحديث رقم ٥٧٧٣: أخرجه الدارمي ١/ ٣٨ حديث رقم ٤٦.

(١) سورة الأنبياء ـ آية رقم ٢٩. (٢) سورة الفتح ـ الآيتان رقم ١ و٢.